يوربيدس

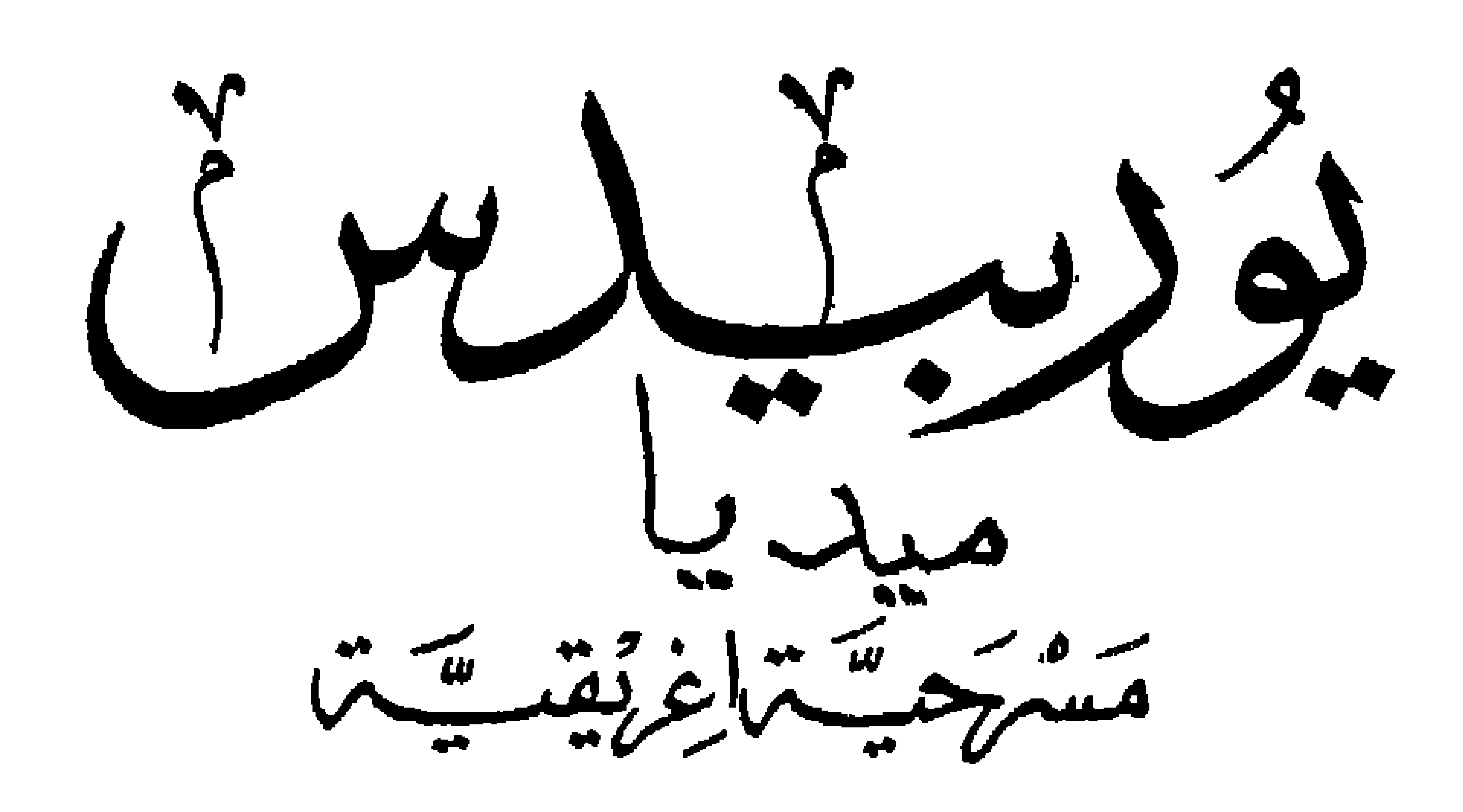
ميديا

مسرحية إغريقية

ترجمة

الدكتور عبدالله المسيلمي

يوربيدس



ترجمة

الدكتور عبدالله المسلمي

منشورات جيل ورسالة
ليبيا

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢م

مقدمة

« يوربيدس »

سيرتـــه :

يوربيدس ، شاعر تراجيدي أثيني عاش فيما بين ٤٨٠ ــ ٤٠٦ ق . م . ولد في جزيرة سلاميس في نفس العام الذي حدثت فيه المعركة الشهيرة بهذا الاسم .

وقد ذكر الشاعر الكوميدي أريستوخانيس في مواضع عديدة أن أم يوربيدس كانت تبيع الخضروات في الأسواق ، ولكن لو أن يوربيدس قد ولد من أسرة فقيرة لما استطاع أن يتحمل نفقات تعليمه على يد السفسطائيين ويكرس حياته تماماً للحقل الأدبي .

ولقد تتلمذ على يدي كل من أناكساجوراس وسقراط . ويقال إنه قد تزوج زيجتين فاشلتين مما يفسر كراهيته للمرأة الأمر الذي كثيراً ما يظهر في مسرحياته ، ولكن يجب ألاّ

ننسى أنه هو مبدع وخالق شخصيات البطلات ألكيستيس ، وإيفادني ولاؤداميا ، كما انه في كثير من المواضع في مسرحية ميديا يعبر عن مطالب المرأة .

بدأ يوربيدس حياته المسرحية في عام ٤٥٥ ق.م وعمره خمسة وعشرون عاماً ، نفس العام الذي توفي فيه زميله العظيم أيسخيلوس . وكان أريستوفانيس قاسياً في سخريته من يوربيدس وترك صورة عنه بأنه رجل عابث معزول عزل نفسه عن العالم مع كتبه ، يدرس ثم يقضي بقية يومه مستلقياً على أريكة وقدماه في الهواء ، ويتأمل . ويبدو أن يوربيدس لم يشارك أبداً في الحياة العامة ، وكان متجهم الطبيعة مما جعله يعيش حياة مغلقة . ومن المحتمل أنه لم يكن عدواً المرأة بقدر ما كان حاقداً على الناس . ولما ضاق بسبب عدم نجاحه ، غادر أثينا الجاحدة ليعيش خارجها .

ففي عام ٤٠٨ ق.م . ذهب إلى ثاليا ثم إلى مقدونيا ليحيا في بلاط الملك أرخيلاوس . ومات في مدينة بيلا **Pella** في نفس العام الذي مات فيه سوفوكليس ، ٤٠٦ ق.م . تاركاً ثلاثة أبناء أصبح صغيرهم واسمه أيضاً يوربيدس شاعراً تراجيدياً بدوره . لم يحظَ يوربيدس بالتقدير أثناء حياته ، ولكنه أصبح بعد موته أكثر شعراء التراجيديا الأثينيين الثلاثة شهرة .

وكانت مسرحياته كثيراً ما تعرض وهذا هو السبب في أن

تسع عشرة من مسرحياته قد بقيت لنا ، وهو عدد يفوق ما بقي من مسرحيات أيسخيلوس وسوفوكليس معاً . وهـــذه المسرحيات هي : ألكيستيس (٤٣٨ ق.م) ، (ميديا) ٤٣١ ق.م . هيبوليتوس (٤٢٨ ق.م) . هيكابي (٤٢٥ ق.م) ، أندوماخي (٤٢٠ ق.م) ، ابنا هيراكليس ، الضارعات الطروواديات (٤١٥ ق.م) ، إليكترا (٤١٢ ق.م) ، هيلين (٤١٢ ق.م) ، جنون هيراكليس (٤٠٨ ق.م) ، الفينيقيات ، إفيجينيا في اولْيس ، الباكخاي ، ثم أخيراً المسرحية الساتيرية الككلوبس .

ويقول أرسطو إن يوربيديس هو أكثر شعراء التراجيديا تراجيدية . والحقيقة أنه كان يملك قوة التأثير على جمهوره أكثر من أيسخيلوس ، وسوفوكليس ، وأنه كان قادراً على إثارة شعور الرعب والشفقة بوسائل كثيرة التنوع .

وأما عن تقديمه لموضوعاته ، فقد كان يلجأ إلى ما يلائم الموقف بأن يرسم صورة مسرحية للمقدمة ، كأن تكون على شكل مونولوج تشرح فيه إحدى الشخصيات المسرحية أو أحد الآلهة موضوع المسرحية . وقد استخدم يوربيدس « إله من الماكينة » «Deus exmachine» أكثر من سابقيه عند إنهائه لمسرحياته . واستخدام وسيلة « الإله من الماكينة » عبارة عن أسلوب يتدخل فيه القدر ليحل عقدة تفوق مقدرة البشر . وكان يوربيدس بارعاً في تصوير العواطف الإنسانية كالحب

والحقد ، حيث يرى فيها قوى غير مسئولة ، تدمر كل ذرة من الرقـــة والشفقة في القلوب التي تتملكهـــا . وكانت مسرحيات يوربيدس أقل سمواً من مسرحيات أيسخيلوس وأقل نبلاً من مسرحيات سوفوكليس ، وتدل أن مفهومه للفن لم يكن بنفس النقاء، وكانت مقدرته الفنية واضحة، ولكن ميوله الفلسفية الريطوريقية كثيراً ما كانت تفسد واقعيته وكثيراً من أجزاء مسرحياته تعبر عن أفكار تلميذ السفسطائيين السابق الشخصية ولكن مبدع مسرحيات ميديا وفايدرا ألكستيس كان ولا شك عظيماً ..

مسرحية ميــديا

مقدمــة

ميديا هي ابنة شقيقة الساحرة كيركي ، التي تظهر عند هومر . وتقول بعض المصــادر إنها ابنة الإلهة هيكاتي . ووالدها هو آيتيس Aeëtes الذي كان يحكم كولخيس على شواطىء البحر الأسود . ومنذ عصر يوربيدس فصاعداً اعتبر الاغريق ميديــا نموذجاً كاملاً للشعوذة إذ كانت تملك زمام كل أسرار آسيا ، وكثيراً ما صورها الفن الإغريقي وهي ترتدي رداء غريبــاً .

وجاسون هو بطل تسالي ، قضى سنوات طفولته فوق منحدرات جبل بيليون Pelion ، وهناك تعلم على الكنتاورخيرونchiron . ولما عاد إلى موطنه يولكوس Iolcos ، وجد أن عمه بيلياس قد اغتصب عرش أبيه . وفكر عمه في أن يتخلص منه فطلب من جاسون أن يذهب ليبحث عن الجزة الذهبية في كولخيس . قام جاسون برحلة الآرجو على رأس خمسين من الأبطال الإغــريق من بينهم أورفيوس وهيراكليس للبحث عن الجزة الذهبية

التي كان آيتيس قد أخص بها ووهبها إلى آريس (مارس إله الحرب) .

وبعد مغامرات عديدة وصل جاسون إلى كولخيس ، وهناك وضع ملكها عديداً من الاختبارات لجاسون، وكان مقدراً لجاسون أن يموت سواء نجح في هذه الاختبارات أم لم ينجح . ولكن حدث أن صادفته ميديا ابنة ملك كولخيس وهامت به حباً ، فساعدته أولاً على تخطي هذه الاختبارات ، ثم لما هم والدها بالقضاء عليه بعد أن نجح وقام آيتيس بتسليمه الجزة الذهبية . فرت ميديا مع جاسون لما وعدها بالزواج . ولما طاردهما آيتيس ، قتلت أخاها وقطعته إرباً إرباً حتى تجعل أباها يتوقف عن مطاردتهما ليجمع هذه القطع ، وهكذا استطاعت أن تهرب إلى البحر مع بحارة الآرجوناوتاس .

لم يلق جاسون حتفه كما تصور عمه ، بل أنه عاد منتصراً إلى يوكلوس ، وخابت آمال عمه بيلياس وسلم جاسون العرش . وتزوجت ميديا من جاسون بصعوبة لأنه كان كارهاً لأن يفي بما وعد . ولقد أنجبت منه أطفالاً يختلف عددهم طبقاً لاختلاف المصادر . تزوج جاسون من الساحرة ميديا ، التي عاد بها معه ، اعترافاً بجميلها . وبسبب هذا المعروف أصبحت ميديا هي الشخصية المسيطرة بين الزوجين ولهذا سببت له الكثير من المتاعب .

سلم بيلياس العرش لجاسون ولكن ميديا لم تغفر له ما مضى من خطاياه. انتقمت ميديا من بيلياس ، بأن أقنعت بنات الملك العجوز Peliades ، بأنه في إمكانهن أن يعدن إلى أبيهن شبابه، ذلك بأن يغلينه في سائل سحري ، سوف تعطيهن مفتاح تركيبتـــه السحرية . ولكي تقنعهن ، قامت بعمل تجربة بأن قطعت كبشاً عجوزاً إلى قطع صغيرة وألقت به في القدر ثم حصلت بعد ذلك على حمل صغير . ومن الطبيعي أنها لم تعط بنـــات الملك نفس التركيبة السحرية ، وبذلك واجه بيلياس نهايته . بهذا الجرم الشنيع جلبت ميديا على جاسون المتـــاعب ، واضطر أن يغادر مقر ملكه ليستقر كلاجىء في كورنثة ومعه ميديا .

وفي كورنثة ، كانت ميديا دائماً عقبة في وجه جاسون وطموحه ، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد. عندئذ قرر جاسون أن يهجر ميديا كي يتـــزوج من كريوسا ، ابنة الملك كريون . تظاهرت ميديا في آخر الأمـــر بالخضوع لرغبته ، ولكنها أرسلت رداء وحلياً ذهبية إلى غريمتها كهدية لها في زفافها ، وذلك بعد أن غمستها في سم سحري . وما أن أرتدتها كريوسا المسكينة حتى التهمتها نـــار ، ومعها أبوها ، شملت القصر كله . ولكي تجعل ميديا انتقامها كاملاً قتلت طفليها اللذين أنجبتهما من جاسون ثم فرت إلى أثينـــا .

وهناك رحب بها آيجيوس ملك أثينا ، الذي تزوجته وأنجبت منه ولداً سمي ميدوس Medus . وحاولت ميديا أن تقتل ثليسيوس ، ابن آيجيوس الآخر ، ولكنها فشلت وفرت إلى آسيا مع ابنها ميدوس ، الذي أطلق اسمه على الميديين . وتقول بعض مصـــادر القصة ، أن ميديا قد عادت إلى كولخيس . وبعد أن أنهت نزاعها مع والدها قضت على حياتها بنفسها .

« عرض المسرحية »

تبدأ المسرحية بظهور مربية ميديا العجوز وهي تندب بؤس سيدتها. تحكي قصة حب ميديا لجاسون الذي خانها بالزواج من ابنـة كريون، ملك كورنثة. ميديا تائهة في حزنها إنها تكره أطفالها ولا تسرها رؤيتهن. وتبدي المربية خوفها من أن تؤذيهما.

ثم يأتي المعلم العجوز مع الطفلين ويبلغ المربية أنه سمع أن كريون قد قـرر نفي ميديا والطفلين.

ميديا تدعو من الداخل أن يموت الطفلان وجاسون وزوجته الجديدة. وتحذر المربية والمعلم بأن يبعدا الأطفال عنها وهي غاضبة. يأتي الكورس ويحـاول تهدئة ميديا، التي تقترح بأن النساء في وضع ضعيف، وخصوصاً هي وهي غريبة منفية ويسيء زوجها معاملتها.

وتوصي ميديا الكورس بأن يكتمن السر إذ وجدت وسيلة للانتقام.

يصل كريون ليقوم بطردهـا، ترجوه أن يتركها

يوماً واحداً تدبر فيه أمرها بينما تدبر طريقة لقلته هو وابنته وجاسون. ويتغنى الكورس بقوله إن الرجال قد أصبحوا أقل إخلاصاً من النســـاء.

يأتي جاسون ويعرض على ميديا مساعدته في رحلتها إلى المنفى. ولكن ميديـــا ترفض وتوبخه على خيانته لها جزاء ما قدمته له من معروف. وينكر عليها جاسون معروفها بحجة أن أفروديت إلهة الحـــب هي التي دفعتها لذلك، وأنه مدين لأفروديت فقط، وأنه نظير معروفها قد جعلها إغريقية معروفة بـــدلاً من بربرية مجهولة. ويعلل جاسون زواجه من ابنة الملك بأنه وسيلة للحصول على الثراء والسلطان من أجله ومن أجلها ومن أجـــل الأطفال. ولكن ميديا لا تقبل ذلك.

ويتغنى الكورس بمتاعب وبؤس المنفى. وعندئذ يظهر آيجيوس ليجدد لدى ميديا الأمل. وتحكي له ميديا قصتها وتنتهي المقابلة بوعد منـــه أن يقبلها في آثينا بعد أن تترك كورنثة.

وتخطط ميديا على مقتل كريوسا وهكذا ترسل طفليها بالهدايا المسممة وتقضي على الأميرة ووالدها. وفي الوقت الذي تعاهد فيه ميديا آيجيوس أن تساعده على الحصول على الأطفال تخطط لحرمان جاسون من الأطفـــال. ميديا لا تكره الأطفال ولكنها مجبرة على كراهية طفليها هي:

يتغنى الكورس في هذه الحـــالة بحكمة أثينا وفنها وموسيقاها ، وبأنها لن تقبل وبأنها لن تقبل ميديا إن هي قتلت طفليها . والكورس في هذه الحـــالة يهرب من الرعب إلى مديح أثينا .

ميديا تطلب من جاسون الصفح متظاهرة بخطئهـــا وترسل الطفلين مع أبيهما والمعلم ليسلما الهدية للعروس . تأمر الطفلين بأن يحضنا والدهما وبأن يسأل جاسون عروسه أن تقنع والدها بألاّ ينفي الطفلين .

يتغنى الكورس بأنه لم يعد أمل أمام الطفلين . يعود الطفلان والمعلم الذي يخبر ميديا بأن الطفلين لم ينفيا . وعندئذ تشرد ميديا تفكر في مصيرها ومصير ولديها . لن تراهما أبداً بعد الآن . ولكنها لا تحتمل سخرية أعدائها . يأتي الرسول ليخبرها بموت كريوسا العروس ووالدها الملك من أثر سمها . عندئذ تقرر ميديا أن تقتل الولدين دون تراجع . ويسمع صراخ الطفلين وأمهما تقتلهما .

يصل جاسون لينقذ الطفلين من انتقام عائلة كريون ولكن ما أن يطرق البـــاب حتى تظهر ميديا فوق السطح في عربة يجرها تنينـــان . ويلعن جاسون بربريتها وخيانتها لقتل طفليهـــا .

تلقي ميديا عليه اللوم ولا تسمح له بلمس الطفلين أو تقبيلهما أو دفنهما. وتتنبأ لجاسون بأنه سيموت موتة حقيرة .

« تحليل لمسرحية ميديا »

تشترك مسرحية ميديا مع مسرحيتي إليكترا وهيراكليس ، في أنها تمثل أحداثاً وقعت في كورنثة وآرجوس وطيبة على التوالي ، ولكن عند حل العقدة فيها أو تطهير الذنب ، تتجه الأنظار إلى أثينا . وهذه إشـــارة توضح مدى عظمة أثينـــا .

ولقد أدين إغفـــال القيم على أنه خطيئة كبرى ، أما في المحيط الأخلاقي والعاطفي . فكان من الأفضل أن يحب الإنسان ويخسر على ألا يحب أبداً .

كان الأثينيون في أفعالهم قساة ، غير أمناء ، وجشعين، وميالين للانتقام ، وغير متدينين بقدر ما كان بقية الإغريق . أما من الناحية الفكرية وطموحهم فقد أحب الكثيرون منهم وبجلوا العدالـــة والاستقامة والشهامـــة ، وعشقوا مدينتهم كمركز لهذه القيم . وإن لم تكن كذلك في واقع الأمر . قد تكون العقيدة عقيمة بدون أفعال ، ولكنه من النادر أن تكون العقيدة بدون أفعال تماماً .

ولقد حفظت لنا أعمال شعراء التراجيديا عقيدة الأثينيين من جمال الخير نابضة بالحيـــاة .

وكانت عقيدتهم مركزة حتى ولو كان النجاح نادراً ، في ما حاولته أثينا بأن تكون كعبة اليونان .

عولجت الخطيئة في مسرحية إليكترا بدهاء ، ولكن بأمر من الإله .

وفي مسرحية هيراكليس صورت الجريمة على أنهـــا ارتكبت بمنتهى البراءة .

ولكن في مسرحية ميديـــا ، على الجانب الآخر ، كان عذر ميديا الوحيد هو ميلها الطبيعي للانتقام . ومع ذلك ، فقد كانت مثلها مثل الآخرين تستطيع أن تلجأ إلى أثينا .

وفي مسرحية ميديا نرى يوربيدس الأثيني يستخدم أجزل العبارات عندما يتغنى الكورس بمديح أثينا وإطرائها .

وأما عن فتح أبواب أثينا لكل غادٍ ورائح بحرية ، فقد كان الأثينيون يتحدثون عنه بفخر كما يخبرنا ثوكيديديس في مرثية بركليس . وعرض الملك آيجيوس على ميديـــا بطريقة ودية أن تلجأ إلى أثينا إنما هو جزء ثابت في القصة .

فقد كانت هذه هي الطريقة التي صدم بهـــا سلوك الأثينيين إغريقيين كثيرين من المدن الأخرى ، في تلك الأيام التي كانت تطالب أثينا فيها بأن تكون مدرسة الحياة

الاغريقية الوحيدة والغريم العنيد للبربرية وكل أساليبها .

وفي شخصية جاسون ، ينصب اهتمامه بالقيم الحضارية مع برود حذر وتفص غير أخلاقي في المشاعر ، أما بالنسبة لميديا فإن حرارة مشاعرها تزداد على أســاس من المبالغة العاطفية ونزعة طبيعية نحو العنف .

وهناك نرى الدرس الذي تقدمه لنا هذه المسرحية ، ألا وهو أن الرجــال المتحضرين يتجاهلون عند تعرضهم للمهالك ، دنيا الغرائز والعاطفة والتجربة اللاعقلانية .

وتكون هذه الأفكار عن الخطأ والصواب خطرة ما لم تعالج بحرص وتكون مرنة بحيث تسمح بتنظيم ثابت .

وإن نهاية المسرحية بالإله الشمس نفسه ، مصدر كل الحياة والدفء ، ليبرر سبب العاطفة والاضطراب من قِبَل رجل متحضر وهو في الوقت نفسه تذكرة إلى أن العالم لا يكون دائماً في جــانب الحضارة ، وإن الحياة المقرونة بالسعادة إنما هــي شيء يجب أن يكسبه الناس لأنفسهم بنضــال مستمر مع بيئة غير متعاطفة .

« يوربيدس »

« ميديـــا »

الشخصيات :

المربيـــة .
معلم طفلي ميديا .
ميديـــا .
كورس (مكون من نساء كورنثيات) .
كريون (ملك كورنثة) .
جاسون .
آيجيوس ، ملك أثينـــا .
رســـول .
طفلا ميديـــا .

المنظر : « أمام منزل جاسون في كورنثة »

المربيـــة : لو أنهم لم يقوموا أبداً برحلتهم ! لو أن السفينة آرجو لم تمخر العباب بين شطري الصخرة الرمادية الضاربة بالزرقة متخذة طريقها إلى كولخيس ! لو أن شجرة السنديان فوق جبل بيليون المنحدر لم تعان أبداً ضربات البلطة وتسقط لتصبح مجاذيف في أيدي هؤلاء الأبطال الذين رحلوا الى مملكة بيلياس يبحثون عن الجزة الذهبية ! إذن لما كانت سيدة ميديا قد أبحرت بحال ما من الأحوال إلى مدينة إيلكوس ذات الأسوار ، مشبوبة بحبها لجاسون ولما كانت عندما قتل بنات بيلياس والدهن بإيعاز منها ، قد جاءت مع جاسون وطفليها لتعيش هنا في كورنثة ؛ جاءت ولاقت ترحيب المواطنين بعد أن حضرت كلاجئة ؛ وكانت مطيعة كل الطاعة لجاسون . ومن دواعي إنقاذ الزواج أن تخضع المرأة طيعة لإرادة زوجها .

أما الآن فقد كشر لها الزمن عن أنيـــاب العداء ، وطعنها في أعماق عواطفها . لقد خان جاسون أطفاله وسيدتي من أجل فراش ملكي ، بسبب تحالفه مع ملك كورنثة ولقد تــزوج جلاوكي ، ابنة كريون . مسكينة ميديا ! إنها تعاني الازراء والعار ، وهي تهذي في هياج ، تستعيد كل وعد وقسم وعدها به جاسون وتستشهد بالآلهة على الشكر الذي تلقته من جاسون جزاء إخلاصها .

إنها لن تتناول طعاماً ؛ وهي ترقد غارقة في آلامها ، تمضي الساعات الطوال تسكب الدمع . ومنذ أن سمعت بدناءة جاسون ، لم ترفع عينيها أو تحرك خديها من فوق الأرض الخشنة ؛ وعندما يجادلها أصدقاؤها ، تبدو كصخرة أو كموجة في البحر بالنسبة لكل ما تسمع ، اللهم إلا أن تشيح أحياناً برأسها الجميل ، تحدث نفسها على انفراد . وبصوت عال تندب أباها ووطنها ومنزلها الذين خانتهم وتركتهم ، كي تأتي مع هذا الرجل الذي يحتقرها ويهينها الآن .. مسكينة ميديا ! إنها تتعلم الآن من خلال محنتها ، أي نعم يتمتع بها أولئك الذين يجتثون من وطنهم الأم . إنها تمقت أولادها ؛ فلم تعد رؤيتهم

تدخل البهجة الى نفسها . إنني لأخشى أن تكون هناك خطة مرعبة تدور في رأسها . إنها امـــرأة مخيفة ، لا يمكن لإنسان يستثير عداوتها أن يفوز عليها بسهولة .

ها هما الطفلان قادمان وقد عادا مـــن لعبهما . إنهما لا يدركان شيئاً عن تلك الضربة القاصمة التي حلت بوالدتهما . وهذا طبيعي ، إنهما صغيران ؛ وتلتقي العقول الصغيرة مـــع الأفكار المحزنة .

المنظر : « يدخل المعلم مع طفلي ميديا »

المعلم : أيتها المربية العجوز ومدبرة منزل سيدتي ، خبريني ، ماذا تفعلين ، وأنت واقفة وحدك بالخارج عند الباب تحدثين نفسك ، تنشدين مأساة ؟ وماذا تقول ميديا وقد تركت وحيدة ؟

المربيـــة : أيها الصديق القديم ، يا معلم ولدي جاسون ، إن العبدة المخلصة تقاسي في داخل قلبها مـــن المصيبة التي تحل بسيدتها . إن هذا كثير جداً ، إنني لا أستطيع تحمله ؛ لقد خرجت إلى هنـــا لأحكي للأرض والسماء مآسي ميديا .

المعـلم : مسكينة هذه المرأة ! ألم تتوقف بعد عن البكاء ؟

المربيـة : تتوقف عن البكاء ؟ إنني أحسدك . إن حزنها قد ولد لتوه — وإنه لم يَنْمُ عاماً بعد .

المعـلم : الغبية البائسة — ولو أنها سيدتي وما كان لي أن أقول ذلك — من الأفضل أن تتدخر. إنهـا لم تسمع بعد بما هو أسوأ .

المربيـة : الأسوأ ؟ وماذا الآن أيضاً ؟ لا تخفِ عني شيئاً . ما الذي حدث ؟

المعـلم : لماذا ؟ لا شيء قد حدث . إنني آسف فلم أقل شيئاً .

المربيـة : انظر — كلانا عبد ونحن سواء : لا تتركني في ظلام . أهو سر خطير ؟ انني قادرة على أن أمسك بلسان .

المعـلم : لقد كنت أسير إلى جانب الموائد حيث يلعب الشيوخ لعبة النرد ، بالقرب من ينبوع بيرين المقدس ، واعتقدوا أنني لا أنصت ؛ ولقد سمعت أحدهم يقول إن كريون ملك كورنثة يعد العدة ليرسل هذين الطفلين بعيداً عن هنا — أي ينفيهما ومعهما والدتهما أيضاً . وسواء كانت هذه القصة صحيحة أم لا ، فانني لا أعرف وأرجو ألا تكون كذلك .

المربية : ولكن جاسون ، بكل تأكيد لن يقف مكتوف اليدين وهو يرى طفليه ينفيان ، حتى ولو كان على خلاف مع أمهما .

المعلم : لقد اقتلع الحب الجديد ما كان من حب قديم . لم يعد جاسون صديقاً لهذا المنزل .

المربية : وعلى ذلك فقد انتهى أمرنا ، ذلك إذا كان محتم علينا أن نضيف مأساة جديدة إلى تلك القديمة ، وذلك قبل أن نتخلص مما هو لدينا الآن .

المعلم : لكن لتسمعي : إن هذا ليس بالوقت المناسب لتخبري ميديا بهذا ، احتفظي بهدوئك ولا تقولي شيئاً عن هذا .

المربية : أطفال ، هل تسمعان أي نوع من الآباء يكون جاسون بالنسبة لكما ؟ اللعنة عليه لا ! لا لعنة ؛ إنه سيدي . كلها سيان ، إنه مخطىء ؟ لقد خان هؤلاء الذين هم أقرباء له وأعزاء عليه .

المعلم : أي رجل هذا الذي هو غير مخطىء ؟ إن أمامك لتتعلمين أن كل شخص يحب نفسه أكثر ممن هم بجواره . إن هذين الطفلين ليسا شيئاً بالنسبة لوالدهما : إنه يحب .

المربية : هيا ، يا أولاد ، اجريا للمنزل . كل شيء سيكون على ما يرام .

المنظر : « يجري الطفلان قليلا »

لتبذل ما في وسعك لتراها بنفسك ، طالما هي في طبعها الحاد هذا ، لا تدعهما يقتربان منها . لقد راقبت نظراتها إليهما ، إن عينيها تشبهان عيني الثور المتوحش . إن هناك شيئاً تدبره ؛ وأنا أعرف هذا : لن يهدأ غضبها إلا عندما تقتنص الضحية . وأرجو من الله أن يجعلها توجه ضربتها إلى أعدائها وليس الى أصدقائها !

المنظر : « يسمع صوت ميديا من داخل المنزل »

ميـــديا : آه ، واحسرتاه ! يا لشقائي ؛ يا لتعاستي ! ماذا عساني أصنع ؟ لو أنني أموت .

المربيـــة : هل يمكنكما أن تسمعا ؟ إنها والدتكما تُحطم قلبها ، وتعلن غضبها . أسرعا ، أيها الطفلان وادخلا الآن ؛ لا تجعلاها تراكما ، ولا تقتربا منها بحال من الأحوال ، ابقيا بعيداً عنها حتى تكونا في مأمن . إن طبعها حاد ، وطبيعتها خطرة ، إن ارادتها قاسية وعنيفة . هيا ادخلا الآن حالاً .

المنظر : « يدخل الطفلان ومن خلفهما المعلم »

إن سحب غضبها الأسود ونواحها في البداية
ولسوف تنفجر لتوها ، وأنا أعلم ذلك ،
ويتصاعد لهيب حنقها . ماذا عساها تفعل
الآن ، وقد هزتها الإهانة في أعماق عاطفتها
بقسوة ؟

ميديا : « تتكلم من الداخل » : ألست أقاسي ؟ ألم
تلحق بي إهانة ؟ ألا يجب أن أبكي ؟ أيها
الطفلان ، لقد هجرت أمكما مكروهة ،
ووقعت عليكما اللعنة ؛ فليأخذكما الموت أنتما
ووالدكما وليخرب كل بيته !

المربية : آه ، يا حسرة عليها ! المسكينة ميديا ! طفلاك
ـ لماذا ما جريرتهما في دناءة أبيهما ؟ لماذا
تكرهينهما ؟ إنني أشفق خوفاً عليهما ، أيها
الطفلان ، ويسيطر الرعب علي مما قد يحدث
لكما . ان تفكير الملكة يدعو إلى الرعب. إن الملكة
تعتاد أن تصدر الأوامر لا أن تطيعها ، وما أن
تثور ثائرتها حتى يصبح من الصعب كبح
جماحها .

إنه لمن الأفضل أن يتعود المرء الحياة
العادية . لست أهوى الحياة الفخمة ، وإنما

السلام والهدوء وأنا أحيا شيخوختي ؛ إن خير الأمور الوسط معنى وفعلاً لا أن أكون عظيمة أو حقيرة . لا يجلب الثراء والسلطان خيراً ، وان يكن دمار البيت الثري أكثر عنفاً عندما يستهدف غضب الآلهة .

المنظر : « يدخل الكورس من النساء الكورنثيات »

الكورس : لقد سمعت صراخها ، وإنني لا زلت اسمع هذه المرأة التعيسة من كولخيس وهي تبكي ، ولم يهدأ روعها بعد . أيتها المربية العجوز ، حدثينا عنها . فما أن وقفت بالباب حتى سمعت نواحها في داخل القصر إن قلبي ليفعم بالأسى عندما يتعرض منزل جاسون للمخاطر وهنا يكمن إخلاصي .

المربية : إن منزل جاسون لم يعد له وجود ؛ لقد انتهى كل شيء . لقد أصبح جاسون سجين فراش أميرة ، وميديا في غرفتها تذيب حياتها وسط دموعها ؛ ولا تدخل أية كلمة صديق الهدوء إلى نفسها .

ميديا : « لا زالت في الداخل » : هيا وتغلغلي يا نار السماء في رأسي ! فماذا أجني من حياتي بعد

ذلك ؟ آه ! كم أمقت الحيـــاة ! إني أريد ان أنهي حياتي ، أموت وأتركها خلفي .

الكورس : أيا زيوس ، أيتها الأرض ، أيها الضوء ، هل تسمعون دعاء زوجة في محنتها ؟ (ويستدير نحو الباب ويخاطب ميديا) .

أي جنون هذا ؟ الفراش الذي تتوقين له — أليس ذلك الذي يتحاشاه الآخرون ؟ أهو الموت الذي تطلبين ؟ لا تدعي هذا الدعاء ، يا ميديا ! وإذا كان فراش آخر قد كســب زوجك ، فإن هذا الأمر عادي ؟ لماذا تجعلين هذا يغضبك ؟ سوف يستخلص لك زيوس حقك . اكبحي جماح هذه الثورة الجامحة على زوجك فإنها تعصف بك .

ميـــديا : أيا بثميس القديرة ! يا أرتيمس المرعبة ! هل تريان كم استغلني زوجي الملعون ، على الرغم من الأيمان الغلاظ التي تعهد بها لي ؟ آه ، إنني لأتمنى أن أرى جاسون وعروسه وقـــد تناثرت أشلاؤهما فوق الأرض في قصرهما الحرب لما تجرأا وألحقا بي من الأذى دون أن ألحق ضرراً بهما ! لقد هجرتك يا أبـــي ويا مدينتي ؛ ولقد سفكت بخسة دم أخي !

المربيـــة : هل تسمعون ما تقوله سيدتي ، وهي تستجير بثميس مجيبة الدعوات ، وبزيوس ، الذي يعتبر البصير بإيمان البشر ؟ إنه ليس بالأمـــر اليسير أن يصل غضب كغضبها إلى نهايته .

الكورس : كم أتمنى لو أنها تخرج إلى هنا وتدعنا نراها ونتحدث إليها ؛ فلو أنها تنصت إلينا ربمـــا تتخلى عن هذه الروح الوحشية السريعة الهياج ، وعن هذا السخط العاطفي . وإنني كصديقة ، لأتحرق لبذل الجهد ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

هيا اذهبي ، أيتها المربية ، وأقنعيها أن تخرج إلينا . أخبريها أننا جميعاً نتعاطف معها . هيا أسرعي ، قبل أن تأتي فعلاً مؤذيـــاً إلى أولئك الذين هم هناك بالداخل ؛ إن غضبها سيل عرم .

المربيـــة : بكل تأكيد سأفعل ، وإنني أخشى أن أفشل في إقناعها . وبالإضافة إلى ذلك فإنه ليسرني أن أبذل كل جهدي . ولكن ما أن يقترب أحدنا نحن الخدم منها أو يحاول أن يتحدث إليهـــا ، حتى ترمقه بنظرة حادة كثور هائج أو لبؤة تحرس أشبالها .

المنظر : « تتجه المربية نحو الباب ذاهبة إلى غرفة ميديا »

لقد كان إدراك أهل العصور الغابرة إدراكاً ضئيلاً ؛ وإذا قلت بأنهم أغبياء فإنك لا تكون قد أخطأت كثيراً . لقد ابتكروا الأغاني ، وشتى فنون الموسيقى الجميلة ، لتؤدى في الأعياد والولائم والاحتفالات ؛ ولكن لم يفكر أحدهم في استخدام الاناشيد والآلات الوترية لتخفيف مرارة الحياة وآلامها . إن الأسى هو السبب الحقيقي للموت والكوارث والأسر التي تتحطم . ولو كان في استطاعة الموسيقى أن تشفي الجراح والأسى لأصبحت كنزاً ثميناً ولكن لماذا نتغنى بأغنية بعد وليمة دسمة ؟ فعندما تكون بطون الناس ملآى فإنهم يكونون فعلاً سعداء .

المنظر : « تدخل المربية »

الكورس : انني سمعتها وهي تنشج وتنوح ، وتكيل اللعنات اللازمة لزوجها الذي خانها . إنها تتوسل بثميس ، ابنة زيوس ، التي شهدت على الوعود التي جعلتها تعبر من آسيا إلى بلاد

اليونان ، وتبحر ليلاً مخترقة كل مضيق وبوغاز إلى بحر بونتوس .

ميــديا : «تخرج» . إنها لا تهتز بالبكاء ، بل هادئــة مسيطرة على أعصابها .

أيتهــا النسوة الكورنثيات ، سوف لا أجعلكن تلمسنني ، ولذلك فإنني أخرج . إنني أعرف أن الكثيرات يشعرن بعزة النفس سواء في داخل البيت أو خارجه ؛ ولكن أخريات يكن موضع النقد كمتعجرفات لمجرد أن أسلوبهن هادىء ليس هناك عدل في عين هذا العالم الذي يعج باللوم . لا أحد ينتظر هذا يدرك كنه خلق الإنسان ؛ على الرغم من أنه لم يرتكب خطأ في حقهم ، فما أن يبدي فيه شخص رأيــاً ، حتى يكرهه الآخرون .

ومن الطبيعي أن يكون على الغريب أن يتأقلم ، بل ويجب حتى على الأغريقي ألا يزعج رفاقه بصفاقته الشديدة . إنني متقبلة لوضعي ؛ ولكني ما كنت لأتوقع هذه الضربة التي أصابتني لقد حطمت قلبي . لم يعد في حياتي متعة أيتها الصديقات . إنني أطلب الموت لنفسي لقد كان جاسون كل حياتي ؛ وهو يعلم

ذلك جيداً . لقد برهن الآن على أنه أحقـــر الرجال ، إننا نحن النساء أتعس المخلوقات التي على قيد الحياة ولها إرادة . وعندما يكون علينا لسبب ما ، أن ندفع ثمن الحصول على الزوج ، فإنه يتحتم علينا أن نتقبله كمالك لجسدنا . وهذا ما يعمق جذور الخطأ بخطأ أسوأ . عندئذ يأتي السؤال الأزلي : هـــل سيكون الرجل الذي نحصل عليه صالحاً أم غير صالح ؟

وبالنسبة للنساء ، لا يكون الانفصال محترماً ؛ وأن تطرد الرجل ، فهذا أمر مستحيل . وزيادة على ذلك ، فإن المرأة الغريبة ، عندما تـــأتي لتعيش تحت ظل قوانين جديدة ، وعادات جديدة ، تحتاج إلى مهارة في السحر ، وذلك لتستطيع أن تعرف ما لم يعلمه إياها بيتها ، وكيف تتعامل مع الرجل الذي يشاركها فراشها .

وإذا نجحنا في هذة الوسيلة الدقيقة ، ولم يقاوم الزوج نير الحياة الزوجية فإن حياتهـــا تستحق أن تُحسد عليها . وإلا فإن الموت يصبح أفضل . وإذا سئم الرجل حياته من رفيقته في المنزل ، فإنه يستطيع أن ينطلق إلى الخارج ، ويجد علاجاً لملله ، أما نحن الزوجات فإننـــا

فراش جاسون ، وهذا يثير حقدك . ولقد علمت من مصادري ، أنك هددت بالانتقام من جاسون وعروسه ووالد عروسه . وسأبدأ أنا بالهجوم دفاعاً عن النفس فلأتخذك عدوة من الآن ، بدلاً من التهاون فأدفع الثمن فيما بعد دموعاً .

ميديـــا : ها هي شهرتي تلاحقني ثانية ! لقد كانت لعنة علي ودماراً لي مرات عديدة ، يا كريون . يجب على الإنسان الذي يتمتع بأي قدر من اللباقة ألا يُعلم أبداً أطفاله أن يستخدموا عقولهم أكثر من أقرانهم . فماذا تكسب من كونك ذكياً ؟ إنك تهمل الشؤون الخاصة ، بينما كل مواطنيك يكرهونك . فالأغبياء منهم يوصمونك بالجهل وعدم المعرفة عندما تقدم معرفة غير عادية . أما أولئك الذين يعتقدون أنهم أذكياء ، فإنهم لا يتحملون أن يضعك الشعب في مرتبة تفوقهم . إنني أعلم هذا عن تجربة ! إنهم يحسدونني لأنني ذكية؛ بينما يمقتني الآخرون . وعلى أية حال فأنا لست ذكية حتى هذا الحد . هكذا أنت خائف ، يا كريون من ماذا ؟ أمن ضرر قـــد أصيبك به ؟ لا تدعني ألحق بك أذى يا كريون إنني كامرأة لست في موضـــع

يمكنني أن أصيبك بمكروه .

أنت لم تؤذني . لقد أعطيت ابنتك للرجل الذي اخترت . حقاً ، أنا أكره زوجي ؛ أما أنت فلك كل الحق في أن تفعل ما فعلت . وعلى هذا فأنا لا أحمل ضغينة ضد سعادتك : زوج ابنتك إياه ، وحظ سعيد لكليهما لكن دعني أعش في كورنثة . سوف أكتم همومي في صدري مستسلمة للقوي الأعلى .

كريون : في كلماتك رقة ، ولكني في حالة هادئة تسمح لي بأن أفكر في خدع قد تدبرينها في أعماق سريرتك . والحقيقة أن ثقتي بك الآن تقل كثيراً عن ذي قبل . فالمرأة الحادة المزاج ، – وكذلك الرجل نفس الشيء – تكون عدوة أقل خطراً منها عندما تكون هادئة ذكية . ولذلك ، هيا إذهبي حالاً لا تجادلي أكثر من ذلك . لقد استقر رأيي . لن يجدي مكرك سبيلاً للبقاء في مدينتي .

ميديا : إنني أركع أمامك ، وأستجديك بحق العروس الشابة ابنتك .

كريون : أنت تتحدثين بلا جدوى ، ولن تفلحي أبداً في أن أغير رأيي .

ميديا : إن المآزق تحيط بي من كل جانب – نعم ، وهي حقيقة واضحة ؛ لكن لا تتخيلن أن الأمور ستنتهي على الصورة التي هي عليها الآن . لسوف يأتي دور القصاص من هذين العروسين الجديدين ، ولن ينجو منه أقرب الناس إليهما بسهولة . هل تعتقدن أنني ما كنت أتودد بهذه الطريقة إلى هذا الرجل ، إلا لأحقق هدفي وأنفذ خطتي ؟ فلا لمسة واحدة ولا كلمة تكفي ومع ذلك ، يا له من غبي ! إنه لو أبعدني في الحال لكان قد خذلني تماماً ، ولكن بدلاً من ذلك يسمح لي بالبقاء يوماً واحداً لسوف أضرب اليوم ثلاثة من أعدائي ضربة القبر : الأب والابنة وزوجي .

تدور في رأسي طرق عديدة تؤدي بهم إلى الموت ، ولست أدري أيها أختار .. أأشعل المنزل ناراً ، وأحرق غرفة الزواج ؟ أم أزحف إلى فراشهما وأغمس خنجراً حاداً في أحشائهما .

هناك خطر يتهددني : إذا ضبطت وأنا أتسلل إلى المنزل أو أنا متلبسة ، سأموت وستكون الضحكة الأخيرة من نصيب أعدائي . الأفضل هو الطريق المباشر ، وهو الذي يتناسب وقدرتي ؛ أن أقتل بالسم .

وهكذا فلنقل إنهم قد ماتوا : فأي مدينة ستقبلني إذن ؟ أي صديق سيضمن سلامتي ، ويقدم لي الوطن والمنزل كملجأ ؟ لا أحد . سوف أتمهل قليلاً . فاذا لاحت لي فرصة عون قوية ، سأقدم بتنفيذ هذا القتل بدهاء وهدوء . أما اذا تخلى القدر عن معونتي ، سوف أحمل بنفسي السيف في يدي ، وأشحذ همة قلبي إلى أقصى درجة ، ثم أقتلهما معاً ، حتى ولو مت في سبيل ذلك .

ذلك إنه وحق هيكاتي ، التي أوقرها فوق كل المقدسات ، شريكتي المختارة التي وهبت لها موقدي الرئيسي ، ما من أحد منهم يلحق بي ضرراً إلا ويدفع الثمن غالياً ! فلأقم بتنفيذ ما اعتزمت : لسوف يندمون على هذا الزواج بمرارة وحسرة ، سيندمون على وصل بينهما ، ويندمون على نفيي . هيا ضعي خطتك يا ميديا ، دبري بكل مهارتك . هيا إلى الخطة القاتلة التي تختبر قوة جرأتك ! أنت تعرفين الآن موضع قدمك . لقد كان والدك ملكاً ، وكان أبوه إله الشمس : يجب عليك ألا تجلبي عليك السخرية من جاسون وحلفائه ، قبيلة سيسوفوس . إنك تعرفين ما يجب عليك عمله . زيادة على ذلك .

نفسك محظوظة انك تنفين فقط . لقد حاولت طوال الوقت ما وسعني جهدي في أن أهدئهما ؛ ولكنك لن تقلعي عن إهاناتك المضحكة للعائلة الملكية . وهكذا تعاقبين بالنفي . وعلى أية حال ، لن أتخلى عن الصديق . لقد تدبرت مشكلتك بإمعان ، ولقد أتيت الآن ، على الرغم من كل شيء ، لأطمئن أنك والطفلان لم تبعدوا خالين الوفاض أو دون مؤونة . إن النفي يجلب وراءه كثيراً من المتاعب . لا شك انك تكرهينني ، ولكني لا أستطيع أبداً أن أحمل لك نية سيئة .

ميديـــا : أنت أيها الجبان الخسيس ! — لو أنني أعرف اسماً أحط لمثل هذه الدناءة لاستخدمته — هل أنت أتيت الآن ! أنت ، يا أسوأ عدو لي ، تأتي إليّ ! إنها ليست من الشهامة في شيء أن تنظر إلى وجه الأصدقاء بعد أن تكون قد غدرت بهم . إنها ليست حتى الجرأة ؛ إنها مرض من أخبث أمراض البشر ، إنها الوقاحة بعينها . على أية حال ، حسناً إنك جئت ؛ أقول ما أنا مضطرة إلى قوله حتى يستريح قلبي ؛ وأن تسمع أنت ما يقال حتى يجفل قلبك . لسوف أبدأ بسرد القصة من بدايتها . عندما أرسلت لتخضع الثيران التي تنفث النار ، وتشدهم إلى المحراث ، ثم تبذر

الأرض الصخرية ، عندئذ ، أنقذت حياتك ؛ وهذا ما يعرفه كل أغريقي أبحر معك على السفينة آرجو . ولقد كنت أنا التي قتلت الحية التي تحرس الجزة الذهبية وتتكور حولها ، وهكذا حملت مشعل انتصارك . لقد خدعت أبي وتركت منزلي بإرادتي ، وأتيت معك الى يولكوس عند جبل بيليون ، وأنا بذلك أبدي حبي الكبير وقلة تبصري . وهناك نفذت في أبي ميتة من أبشع الميتات على يد بناته ، ودمرت كل منزله وجزاء لهذا ترد عليّ بدناءتك بأن تتخذ لك زوجة أخرى ، وحتى بعد أن أنجبت لك أطفالاً ! ولو كنت لم تزل بدون أطفال لكنت قد استبحت لك عذراً لتشوقك إلى هذا الزواج الجديد . ولكن احترامك لقسمك قد ذهب أدراج الرياح .

أتعتقد أنني دهشة لذلك ، وأن الآلهة القدامى لم تعد تحكم ؟ أم أن هناك قوانين جديدة تسري الآن ؟ يجب أن تعلم أنك مذنب لحنثك بالقسم لي . آه ليدي اليمنى التي كثيراً ما صافحتها ! ولركبتي اللتين تعلقت بهما عندئذ ! كم ساءت سمعتنا وسخر منا بأيمان هذا الرجل المهدرة ، وخدع كل آمالنا ! تعال الآن سوف أسألك

عرف اسمك . أنا شخصياً إذا لم تجلب لي الحياة الشهرة فانني لا أتوق لكنوز الذهب ، ولا لأي صوت حتى ولو كان أحلى من صوت أورفيوس ! .

وأما فيما يتعلق بتقريعك السفيه لمصاهرتي الأسرة الملكية ، فسوف أوضح لك أن عملي هذا حكيم ، ولا تطلقي لعاطفتك العنان ، وإنما هذا يهدف إلى مصلحتك ومصلحة طفلي ، لا ، احتفظي بهدوئك ! عندما أتيت من يولكوس إلى هنا كلاجىء لا وطن له ، تدفعني المصائب وتزيد من صلابتي — لماذا ؟ وأي فرصة أفضل كانت لتصادفني أكثر من الزواج من ابنة الملك ؟ لم تكن ، كما ظننت بتهورك ، لأنني وجدت أن جاذبيتك قد أصبحت مملة . وأنه قد سيطرت عليّ الرغبة في امرأة أخرى ؛ كما أنني بخاصة لا رغبة لي في تكوين عائلة كبيرة العدد ، إن ما لدينا من أولاد يكفي ، إنني راض ؛ ولكني أود أولاً ، وفي المقام الأول أن أضمن أننا سوف نعيش حياة رغدة ولا نكون فقراء ؟ إنني أعرف كم يتجنب الأصدقاء جميعاً الرجل الفقير .

وأريد بعد ذلك أن أضمن أنني أستطيع أن

أرى أطفالي في مستوى يليق بسلالتي ؛ قد يكون لي أولاد آخرون ، كإخوة لطفليك ؛ وأعطيهم جميعاً فرصة متكافئة ، وهكذا أبني أسرة متماسكة سعيدة . أنت لا تحتاجين أطفالاً آخرين ، هل تحتاجين ؟ وفي هذا الوقت فقد فكرت أنه من الأهمية بمكان أن أضمن ميزات لما لي من أطفال بواسطة أولئك الذين آمل أن يكونوا لي . أكانت مثل هذه الخطة شريرة ، إذن ؟ فحتى أنت كنت لتوافقين عليها لو أنك كبحت جماح غيرتك الجنسية . لأنكُن معشر النساء قد وصلتن إلى حالة يكون معها كل شيء حسن إذا كانت حياتكن الجنسية على ما يرام ؛ لكن إذا حدث ما يعكر صفوها ، انقلب كل شيء جميل نبيل إلى حقد مرير . ولو كان من الممكن الحصول على الأطفال بطريقة أخرى دون حاجة للجنس الناعم ؛ ولو لم يكن جنس النساء على قيد الوجود ، لتخلصت الحياة من كل بؤسها .

الكورس : يا جاسون لقد عرضت قضيتك بكل براعة . ولكنك في تقديري – على الرغم من أنه يدهشك ذلك – تجانب الصواب في تصرفك بهجرانك زوجتك على هذا النحو .

ميديـا : لاشك في أنني أختلف عن كثير من الناس في نواحٍ عديدة . وفي نظري أن الرجل الدنيء الذي يتمتع باللباقة هو أكثر الناس جميعاً في جرمه . إنه يبتر عنقك بجرأة ووقاحة لأنـه يعرف أنه يستطيع أن يلبس جريمته رداء مـن الكلمات المعسولة . وهو على أي حال ليس بالذكي . ها أنت الآن تجرؤ على مواجهتي بلسان زلق وسيل من الفصاحة ! هذه كلمة واحدة تكشف عن قناعك : لو أنك كنت أميناً لكنت قـد كسبتني إلى صفك ، لا أن تذهب من خلف ظهري وتتزوج .

جاسون : لا شك ، أنني لو حدثتك بذلك لكنت قد تعاونت معي . لماذا حتى الآن لا تخففي من حدة مزاجك ؟

ميديـا : لم يكن هذا هو بيت القصيد ؛ وإنما أنت رجل متطلع الى المعالي وزوجة آسيوية لم تعد موضع التقدير .

جاسون : فلتدركي ما يلي : إنني لم أقدم على هذه الزيجة الملكية من أجل أية امرأة أخرى ، وإنما كمـا حدثتك من قبل ، لاضمن لك مستقبلك ، ولأهب لطفلي أخوة من دم ملكي ، ولكي أهيء الأمان لنا جميعاً .

ميديـــا : إنني أربأ بنفسي عن مستقبلك الرغد ؛ لن أشاركك في شيء منه ولا في ضماناتك ، إنها تثيـــر الاشمئزاز في نفسي .

جاسون : إنك تدركين ... سوف تغيرين رأيك وتصبحين أكثر تعقلاً . سوف تقلعين عن اعتبارك للخير بأنه شر ، وتضربين بهذه الأفكار المحزنة عبر الحائط في حين انك في واقع الأمر محظوظة .

ميديـــا : استمر في إهانتك لي : إن لك من يحميك ، أما أنا فوحيدة ، لاجئة .

جاسون : لقد كان ذلك قرارك الشخصي . لا تلومنّ إلا نفسك .

ميديـــا : قراري ؟ ماذا جنيت ؟ هل اتخذتك لي زوجة ثم هجرتك بعد ذلك ؟

جاسون : لقد أخذت تستجلبين اللعنات الشريرة على الملك وأهل بيته .

ميديـــا : نعم فعلت . ولقد أرسلني القدر لعنة على منزلك أيضـــاً .

جاسون : لن أذهب أبعد من هذا الحد . إذا كان هناك أي شيء آخر أستطيع أن أقدمـــه لمواجهة احتياجاتك والطفلين ، فقولي لي ؛ لسوف أقدم

بكل سرور كل ما تطلبينه ، أو أن أرسل إذا شئت ، خطابات توصية إلى أصدقائي الذين سوف يساعدونك . انصتي ؛ إنه من الجنون أن ترفضي مثل هذه المساعدة . سوف تكسبين كل شيء إن أنت أقلعت عن هذه الثورة .

ميديا : لن يغريني أي شيء بأن يكون لي تعامل مع أصدقائك ، ولن آخذ أي عون منك ؛ وعلى هذا لا تقدم أي شيء . إن هبات الخائن الكاذب لا تجلب معها حظاً .

جاسون : حسناً ، هاأناذا أشهد الآلهة بأنني بذلت ما في وسعي كي أساعدك أنت والطفلين . إنك لا تستجيبين لطيبتي ؟ وترفضين بعناد عروضي الودية . وهذا ما سيؤدي بك إلى سوء المصير .

ميديا : فلتنصرف ! لقد قضيت هنا وقتاً طويلاً . لقد استبد بك الشوق إلى عروستك الجديدة التي فزت بها . اذهب ، وتمتع بها !

المنظر : « يخرج جاسون »

أرجو أن يستجيب الإله لكلماتي ، أن ينتهي يوم زواجك هذا بدمار هذا الزواج وتبقى لك الحسرة والهلع .

الكورس : هذه زيارات الحب التي تجلب الغضب والعنف على الرجل ولا تكسبه حسن السمعة أو الخير. ولكن لو أن أفروديت تهبط في رقة لما كانت هناك آلهة أخرى تشع مثل هذا النور. أيتها الملكة أفرديت ليتك لا تصوبين إلي أبداً من جعبتك سهمك الذي لا يخيب وهو مغموس بحلاوة الرغبة !

ولتكن البراءة، أحلى هبات الآلهة من نصيبي؛ أرجو ألا يصيب قلبي ذلك القبرصي المخيف برغبة من أن أترك الحب القديم إلى آخر جديد وألا ترسل علي منازعات حادة وعداوات لا تنتهي تفزعني، وليكن قضاؤها حكيماً بحب النساء واحترام الفراش حيث لا ينشب خلاف ولأبقى في وطني، وفي بيتي ! أرجو أن تنقذني الآلهة من أن أصبح لاجئة بلا وطن، أمضي حياة لا تطاق في يأس وعجز ! إن هذا أكثر الأحزان مدعاة للشفقة؛ إن الموت ليفضله. واذا كان هذا اليوم مقدراً لي فليأتني الموت قبله. إن أسوأ الآلام والمصاعب هو أن تحرم من وطنك. وليس هذا من تأثير قول سمعنا به، وإنما هو شيء رأيناه. لقد قاسيت ميديا من الضربات ما يقصف الظهر؛ فلم تشفق

عليك مدينة كورنثة ولن يرحمك صديق فليهبط العار والدمار على الرجل الذي بعد أن كشف أستار قلب صديقه الصريح ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يتخلى عنه ! إنه لن يكون صديقاً لي .

المنظر : « يدخل آيجيوس »

آيجيوس : لتكن لك كل السعادة ، يا ميديا فليست هناك تحية أفضل بين الأصدقاء القدامى .

ميديــا : لتكن لك كل السعادة ، يا أيجيوس بــن بانديون الحكيم ! من أين قدمت ؟

آيجيوس : من دلفي ، من مركز وحي أبوللو العتيق .

ميديــا : مركز الأرض ، بيت العَرّافة : لماذا ذهبت إلى هناك .

آيجيوس : كي أطلب ذرية ، وأن تصبح بذرتي خصبة .

ميديــا : لماذا ، أعشت كل هذه السنوات بلا أطفال ؟

آيجيوس : إنني بلا أطفال ، هكذا حكم القدر .

ميديــا : ألك زوجة ، أم لا ؟

آيجيوس : إني متزوج .

ميديــا : وماذا كانت إجابة فويبوس بخصوص الأطفال ؟

آيجيوس : لقد كانت إجابتها شديدة الغموض بالنسبة ، لأي مفسر .

ميديـــا : أمسموح لي أن أستمع إليها ؟

آيجيوس : بكل تأكيد ؛ إن مثل عقلك هو ما نحتاجه .

ميديـــا : أخبرني ، إذا كان في إمكانك .

آيجيوس : لقد أمرتني « ألا أنزع سدادة عنق قربة الخمر » .

ميديـــا : نعم وحتى متى ؟

آيجيوس : حتى أعود ثانية إلى منزلي سالما .

ميديـــا : لقد فهمت . ولأي غرض أبحرت إلى كورنثة ؟

آيجيوس : أتعرفين ملك ترويزون ، بيثيوس بن بيلوبس ؟

ميديـــا : نعم ، نعم إنه رجل غاية في التقوى .

آيجيوس : أريد أن أطلب نصيحته حول النبوءة .

ميديـــا : أرجو أن تنال ما تتمنى ، وأن تكون سعيداً .

آيجيوس : ولكنك تبدين شاحبة شاردة : ما الخبر ؟

ميديـــا : يا آيجيوس ، إن زوجي أحط إنسان على قيد الحيـــاة .

آيجيوس : لماذا ، ما الحكاية ؟ حدثيني عن كل شيء بخصوص تعاستك .

ميديـــا : لقد خانني جاسون بالرغم من أني لم أرتكب خطأً في حقه .

آيجيوس : لماذا وماذا فعل ؟ أخبريني بالضبط .

ميديـــا : لقد تزوج بأخرى ، وجعلها سيدة منزلي .

آيجيوس : لكن مثل هذا الأمر مخزي ! ما كان ليجرؤ عليه أبـــداً .

ميديـــا : هذا ما حدث . لقد أحبـــني في وقت من الأوقات ؛ والآن أنا مهجورة .

آيجيوس : هل سئمك ؟ أم وقع في حب آخر ؟

ميديـــا : آه، (بعنف) . إنه ليس بالرجل الذي يمكن أن يثق به أصدقاؤه .

آيجيوس : حسناً ، إذا كان بهذه الخِطة ، كما تقولين ، دعيه يذهب .

ميديـــا : لقد وقع في حب الملكية والقوة .

آيجيوس : ماذا ؟ استمري ، من يكون والد الفتاة ؟

ميديـــا : كريون ملك كورنثة .

آيجيوس : لقد فهمت . إن لديك إذن كل الحق كـــي تنزعجي .

ميديـــا : لقد انتهى كل شيء ! بل وأكثر من ذلك انني نفيت .

آيجيوس : وهذا أسوأ ... عجيب ! لماذا، من الذي نفاكِ ؟

ميديـا : كريون هو الذي نفاني من كورنثة .

آيجيوس : وهل قبل جاسون ذلك؟ يا له من عار !

ميديـا : آه ، لا ! إنه يعترض . ولكنه عزم على أن يتحمل هذا بشجاعة .. انصت إلي يا آيجيوس إنني ألمس لحيتك متوسلة ، وأتعلق بركبتيك ، وأرجو أن ترحم تعاستي . اشفق علي ! إنني لاجئة ؛ لا تتركني بلا صديق . اقبلني في أثينا ، رحب بي في بيتك ولتمنحك الآلهة الخصوبة ، أن تهبك حياة سعيدة .

إنك لا تدرك أي فرصة سعيدة الحظ قد أتت بك إلى هنا . إنني أعرف بعض العقاقير التي سيضع مفعولها حداً لعقمك . وأنا أعدك أنك سوف تنجب أطفالاً .

آيجيوس : لأسباب عديدة ، أشعر بالقلق أن أساعدك بهذه الطريقة يا ميديا ؛ أولا ، وحق الإله ، هذا الأمل الذي أعطيتنيه بانجاب الأطفال ــ لقد يئست تماماً من قواي . وعلى ذلك فهذا مـا سوف أفعله : ما أن تصلين أثينا حتى أفي بوعدي وأحميك بقدر استطاعتي . ولكني أنبهك أولاً لما يأتي : ليس في نيتي أن آخذك معي مـن

كورنثة . فإذا حضرتِ بنفسك إلى أثينا ؛ سوف يكون لك هناك ملجأ ، ولن أسلمك لأي شخص لكن لتغـــادري كورنثة دون عوني ؛ إذ أن الكورنثيين هم أيضاً أصدقائي ولا أريد أن أسيء إليهم .

ميديـــا : ليكن هذا . والآن أقسم على وعدك ، وسيكون كل شيء بيننا على ما يرام .

آيجيوس : لماذا ؟ ألا تثقين بي ؟ ما الذي يقلقك ؟

ميديـــا : إنني أثق بك ؛ ولكن لي أعداء ، ليس فقط غريون ، بل بيت بيلياس أيضاً . وما ان ترتبط بقسم فلن تتخلى عني إذا حاولوا أن يأخذوني من داخل حدودك . أما إذا كان وعدك شفوياً ، ولم تقسم بالآلهة ، فربما تتحالف معهم ، وتوافق على تنفيذ ما يطلبونه . ليست هناك قوة في جانبي ، بينما يملكون الثروة وكل مصادر البيت الملكي .

آيجيوس : إن بعد نظرك محل تقدير ؛ ولكن ما دمت ترغبين في ذلك فلا اعتراض لي . في الواقع أن القسم يؤمنني ؛ إذ انه يمكنني أن أواجه أعداءك بعذر واضح ؛ في حين انك تكونين في أمان تـــام . وبناء عليه اذكري آلهتك .

ميديـــا : أقسم بالأرض التي تحت قدميك ، وبالشمس ،

والد أبي ، وكل سلالة الآلهة .

آيجيوس : أخبرني بما سأقسم أن أفعله أولا أفعله .

ميديا : ألا تطردني من بلادك ، وإذا أراد أعدائي أن يأخذوني، ألا تسلمني لهم أبداً برغبتك ما دمت حيا .

آيجيوس : أقسم بالأرض ، وبشعاع الشمس المحرق ، وبكل الآلهة ، أن أحفظ الكلمات التي نطقت بها الآن .

ميديا : إنني راضية . وإذا حنثت بقسمك ، فماذا يكون إذن ؟

آيجيوس : أن تصنع الآلهة بي ما تصنعه بكل الرجال المذنبين .

ميديا : إذهب الآن ، وليصحبك السرور . كل شيء على ما يرام . سأصل إلى مدينتك بأسرع ما أستطيع ، وذلك عندما أكون نفذت غرضي وحققت أمنيتي .

المنظر : « يصافحها آيجيوس ثم يخرج بسرعة »

الكورس : فليوصلك هيرميس ، راعي المسافرين ، إلى منزلك سالماً ، يا أيجيوس ، ولتحقق كل ما

تصبو إليه . إنك لتحوز نوايانا الطيبة بقلبك النبيـــل .

ميديـــا : أيا زيوس ، أيتها العدالة ، يا ابنة زيوس ؛ أيتها الشمس العظيمة ! إنني الآن في طريقي إلى النصر ؛ الآن بزغ أمامي الأمل ؛ لسوف أرى أعدائي يعاقبون على ما يستحقون . فحيثما كانت خطتي في قمة ضعفها ، عند هذا الموضع بالذات ظهر لي الأمل في شخص هذا الرجل آيجيوس ، إنه المرفأ الذي سأجد عنده المرسى ، وذلك حالما أصل إلى أسوار مدينة أثينا . والآن ، سوف أخبركن عن مخططاتي :

المنظر : « دخلت المربية ، وهي تنصت في سكوت »

سوف أرسل أولاً عبدة إلى جاسون ، تطلب منه الحضور إلي ؛ سأحدثه حديثاً ليناً ، وأخبره أنه أحسن التصرف ، وأقول له إني أعتقد أن هذا الزواج الملكي الذي حصل عليه غدراً بي إنما هو للصالح العام وإنه قد خطط له بحكمة . ولكنني سأرجو السماح لولديّ بالبقاء لا لأنني أفكر أن أترك ولدي على أرض الأعداء هؤلاء الذين يكرهونني كي يهينوهما ؛ ولكنهما

يجب أن يساعداني في خطتي لقتل الأميرة . سوف أرسلهما إلى القصر يحملان هدايا ، رداء من نسيج رقيق وتاجاً من الذهب المصقول . فإذا تناولت هذا الرداء والحلى المبهرجة ووضعتها فوق جسدها ؛ فإنها وكل من يلمسها سوف يلفظ أنفاسه في موت رهيب ، إذ أنني سوف أدهن هداياي بمثل هذا السم الزعاف .

على أية حال ، هذا يكفي ، ولكن مـــا يجعلني أجأر بالألم هو الخطوة التالية التي لزاماً علي أن أقدم عليها . سوف أقتل أطفالي . لن يأخذ أحد مني أطفالي . وبعد أن أكون قد جعلت منزل جاسون كله مجزرة ، سأغادر كورنثة وأنا قاتلة ، مبتعدة عن دم ولدي الحبيبين . نعم ، أستطيع أن أحتمل الذنب ، مهما كان مرعباً ، ولكن لن أتحمل سخرية أعدائي .

ولندع الآن الأمور تجري في أعنتهـــا . ما فائدة الحياة بالنسبة لي ؟ لا وطن لي ولا منزل ولا ملجأ من اليأس . لقد نفذت حماقتي منذ وقت طويل مضى ، وذلك عندما كنت على استعداد لأن أهجر منزل والدي بعد أن وقعت فريسة لِلباقة اغريقي ، سوف أعاقبه الآن بعون

الإله . لن يرى الأبناء الذين أنجبتهم له أحياء مرة أخرى .

ومن زوجته الجديدة لن ينجب أطفالاً أبداً ؛ إن هذه الفتاة التعسة ، يجب أن تموت ميتة شنيعة بسمي . ولا يعتقد أحد أنني ذليلة أو ضعيفة أو سلبية ؛ وليفهموا أنني من معدن مختلف : خطر على أعدائي ، مخلصة لأصدقائي . إن المجد من خصائص هذه الحياة .

الكورس : بما أنك قد أخبرتنا بكل شيء ، وبما أنني أريد أن أكون صديقة لك ، وأن أتمسك في الوقت نفسه بقوانين الحياة الإنسانية ، فانني أقول لك ، يجب ألا تفعلي هذا .

ميديـــا : ليس في الإمكان غير ذلك . إن لكن عذركن في أن تتحدثن كذلك . إنكن لم تعاملن كمـــا عوملت .

الكورس : لكن ــ أتقتلين أطفالك ! هل يطاوعك قلبك ؟

ميديـــا : هذا هو الأسلوب الذي أطعن به جاسون بجرح عميـــق .

الكورس : سوف يجلب عليك هذا الأسلوب أعمق الحزن .

ميديـــا : ليكن . وحتّى يتم ذلك فإن الكلمات ضائعة

هباء . أيتها المربية ! إنك الشخصية التي أعهد إليها برسائلي الخاصة . اذهبي وأحضري جاسون إلى هنا . لا تتفوهي بكلمة عن أهدافي كخادمة مخلصة ، وكامرأة .

المنظر : « تخرج المربية »

الكورس : لقد نعم أهل أثينا ، أبناء إريخثيوس ، برفاهيتهم منذ العهود القديمة . إنهم أبناء الآلهة المباركة، لقد نبتوا من تربة مقدسة ولم يضر بهم غزو . ولقد ترعرعت نفوسهم بين أمجاد المعرفة ، يمشون الهوينى دائماً في نبل تحت قبة السماء الوضاءة . وهناك ، كما يقولون ، ولدت منذ زمن طويل الهارموني ربة الوئام ذات الشعر الذهبي ، وقد انتجتها موساي بيريا ، العذراوات التسع .

ويقولون أن أفروديت تغمس كأسها في مجرى نهر كيفيسوس الجميل الصافي إنها هي التي تطلق على هذه الأرض أنفاساً من الرياح العسلية الهادئة ؛ لتجلس على العرش بجانب المعرفة ، وذلك كي تخلق بها سمواً في كل فن .

عندئذ ، كيف يا قاتلة أطفالك والتي يكون

وجودها دنس ، سترحب بك مدينة أثينـــا ، مثل هذه المدينة التي ترويها أنهار مقدسة ، ذلك البلد الذي يقدم الحماية لأصدقائه ؟ تدبري إن الضربة التي توجهينها إلى طفل ، تفوق الدم الذي تتحملين وزره ، يا ميديا ، إننا نستحلفك ، بركبتيك، بكل قسم وكل رجاء نتوسل إليك ، لا تقتلي طفليك ! إنك ستواجهين قسوة الهدف ؟ كيف ستتخذين قراراً بيدك أو قلبك بأن تواجهي الرعب دون إجفال ؟ فعندما تأتي اللحظة الحاسمة وتنظرين إليهما ــ تلك اللحظة التي تزمعين فيها القيام بدور قاتلة ــ كيف ستنفذين ما تزمعين ؟

وعندما يركع ولداك طلباً للرحمة ، هل ستلطخين أصابعك بدمائهما ؟ لسوف ينصهر قلبك . أنت لا تستطيعين ذلك .

المنظر : « يدخل جاسون القصر . تأتي فتاتان لتقفا إلى جانب ميديا »

جاسون : لقد أرسلتي في طلبي : وها أنا قد أتيت . بالرغم من انك تمقتينني فإنني على استعداد للإنصات . ألك مطلب جديد ، ما هو ؟

ميديــا : جاسون ، أرجوك أن تصفح عن تلك الأشياء

التي قلتها يجب عليك أن تتحمل حدة مزاجي ؛
إنك وأنا نشترك في عديد من ذكريات الحب .
لقد ساءلت نفسي « أنت غبية » ، وحدثت نفسي
« أنت مجنونة .. » عندما يحاول الناس أن يفكروا
في الأفضل ، تمتعضين ثم تتشاجرين مع الملك
ومع زوجك؛ إن ما يفعله سوف يساعدنا جميعاً.
إن زوجته من أسرة ملكية ، وأولادها سيكونون
إخوة لولديّ . لماذا لا تدعين غضبك جانباً ؟.
وماذا في الأمر ، ما دامت الآلهة تقدم عوناً
طيباً ؟ وفوق كل ، لا يزال لي طفلان أرعاهما ؛
وأنا أعلم أننا أتينا كلاجئين وأصدقاؤنا قليلون
جداً . وعندما فكرت في هذا ، عرفت غبائي ؛
أنك حكيم في أن تكسب لنا هذا التحالف الجديد
وأن الغباء كان من جانبي . وكان من الواجب
علي أن أساعدك في خططك ، وأن أجعل من
دواعي سروري أن أعد لك فراش الزواج ،
وأن ألحق بعروسك . ولكننا نحن النساء — ولن
أقول إننا سيئات بطبيعتنا ، ولكن نحن كما نحن .
ويجب عليك يا جاسون ، ألا تحذو حذونا ،
أو أن تقارن نفسك بنا ، وأن تقابل الحماقة
بمثلها . وأنني أعلن وأعترف ، بأنني كنت الآن
على خطأ . ولكني فكرت في الأمر بروية أكثر

منذ ذلك الحين . أطفال ، يا أطفال ! هل أنتم في الداخل ؟ هيا تعالوا إلى هنا .

المنظر : « يخرج الطفلان من الداخل ويتبعهما المعلم »

سلما على والدكما ، يا طفليّ ، كما أفعل ، وأحيطاه بذراعيكما. فلتنسياه خلافنا وأحبـاه كما تفعل والدتكما . لقد أصبحنا أصدقاء ، ولم نعد غاضبين . هيا أيها الولدان ؛ وخذا يده .

المنظر : « تستدير بوجهها منفجرة بسيل من الدموع »

سامحني ، لقد تذكرت الآلام التي يخبئها القدر عنا .

(وبعد أن يعانق الطفلان والدهما يعودان إلى أمهما) .

آه ، يا ولدي ! هل ستعيشان طويلاً ، وتمدان يديكما لي هكذا؟ آه ، إن القلب الممزق يمتلىء بالدموع والهلع . لقد أنهيت نزاعي مـع والدكما بعد فترة طويلة ، والآن ، انظرا لقد بللت هذا الوجه الصغير بدموعي .

الكورس : وأنا أيضاً أشعر بدموع جديدة تملأ مآقي ، يا ليت هذه السلسلة من الشرور تتوقف ، ولا تذهب إلى أبعد من هذا المدى !

جاسون : إنني لمسرور ، يا ميديا ، لأنك غيرت رأيك ؛ بالرغم من أنني في الحقيقة لا ألوم ثورتك الأولى. ومن الطبيعي أن تثور المرأة عندما يتزوج زوجها بأخرى وما أن فكرت بحكمة ، ولو أن ذلك قد احتاج لوقت ، حتى تعرفت على القرار الصحيح هذا وتصرفت تصرف المرأة العاقلة. أما بالنسبة لكما يا ولدي ، فقد فكر فيكما والدكما ملياً ، وبعون الآلهة، قد ضمن لكما حياة طيبة أما كيف؟ فإنني متأكد أنكما ستكونان مع أخوتكما قادة رجال كورنثة . فقط، عندما تكبران وتصبحان قويين. إن والدكما ، والآلهة الذين هم أحباؤه ، يسيطرون على الباقين ، إنني أريد أن أراكما ، عندما يقوى عودكما وتصبحان يافعين قويين، تهزمان أعدائي .

(تنهار ميديا مرة أخرى وتبكي)

ما هذا؟ لماذا هذا السيل من الدموع ؟ لماذا تبدين شاحبة ؟ ألا يروق لك ما أقوله ؟ لماذا تشيحين بوجهك ؟

ميديـــا : لا شيء ، لقد كنت أفكر في هذين الطفلين.

جاسون : سوف أمدهما بما يحتاجان . هيا ، افرجـــي أساريرك .

ميديـــا : سوف أفعل ، لا يعني هذا أنني أشك في قولك . لكننا النساء — تنهمر دموعنا بصورة طبيعية .

جاسون : لماذا تجزعين على الأطفال بهذه الصورة ؟

ميديـــا : إني أمهما . عندما وعدت الآن أن يعيشا طويلاً ، تساءلت هل سيكون هكذا أمرهما ؟ وتملكني الحزن، ولكني أفصحت عن جزء فقط مما يجب أن أقول ؟ وهاك الجزء الآخر ما دام كريون قد قرر أن يطردني الى خارج كورنثة ، فإنني أعترف تماماً أن هذا الاجراء هو أنسب شيء لي. لو عشت هنا سأكون سبباً في المتاعب لك وله . يعتقد الناس أنني أحمل ضغينة لكم جميعاً ، لذلك يجب أن أرحل ، أما ولداي فإنني أحب أن يترعرعا في رعايتك وكنفك ، فلترجوّن كريون أن يسمح لهما بالبقاء .

جاسون : لست أدري إن كنت سأستطيع إقناعه ؟ ولكني سأحاول .

ميديـــا : إذن ، اجعل زوجتك تطلب من أبيها أن يبقيا .

جاسون : لماذا ؟ بالتأكيد ؛ إنني واثق تماماً أنها ستقنعه .

ميديـــا : ستقنعه ، إذا كانت مثل النساء الأخريات ولكن أيضاً أستطيع أن أساعدك في هذا الموضوع . سوف أرسل هدية إلى زوجتك – أجمل أشياء يمكن أن توجد على وجه البسيطة . سيحملهـــا الطفلان . – لتذهب إحداكن أيتها الفتيات بسرعة لتحضر الرداء والتاج الذهبي لسوف تتضاعف سعادتها كثيراً ، وذلك عندما يكون ملكاً لها .

المنظر : « أحضرت عبدة السلة التي تناولها ميديا إلى ولديها »

ولدي احملا هذه الهدايا . ولتحملاها الآن إلى العروس السعيدة ، الأميرة الملكية ؛ ولتسلماها لها في يدها ، اذهبا ! سوف تجدها كلها تلك الهدية المناسبة .

جاسون : لكن لماذا تحرمين نفسك من مثل هذه الأشياء ، أيتها المرأة البلهاء ؟

أتعتقدين أن قصراً ملكياً في حاجة إلى ملابس ؟ أو ذهب ، أتعتقدين ذلك ؟ احتفظي ،

بها ، ولا تتخلي عنها . إذا كانت زوجتي تقدرني تماماً فسوف تقتنع بكلامي أكثر من إقناعها بالهدايا الثمينة ، وأنا واثق من ذلك .

ميديـــا : لا تمنعني . الهدايا ، كما يقولون تقنع حتى الآلهة ؛ أما بالنسبة للبشر فإن الذهب يفوق ألوف الحجج إن اليوم يومها ؛ ومن الآن فصاعداً سوف يصعد نجاحها إلى آفاق جديدة . إنها من بيت ملكي وشابة . ولكي أشتري ولدي من النفي فإنني أدفع حياتي ثمناً ، لا الذهب فقط . هيا ، أيها الولدان ، ولتذهبا كلاكما إلى هذا القصر الفخم ؛ اركعا واطلبا من زوجة أبيكما الجديدة ، وسيدتي ألا تنفيا . وفوق كل شيء أحرصا على أن تسلماها هديتي في يدها . اذهبا بسرعة ، حالفكمـــا التوفيق ، وعودا إلي تحملان أنباء سارة ، بأن ما تبغيه والدتكما قد نلتماه .

المنظر : « يخرج جاسون يتبعه الطفلان والمعلم »

الكورس : الآن لم يعد لدي أي أمل ، لقد ضاع كل أمل في أن يبقى الطفلان على قيد الحياة ، إنهما يسيران إلى حتفهما في هذه اللحظة . سوف تتسلم العروس التاج الذهبي ، إنها تتناول هلاكها الذي لا رحمة

فيه ؛ لسوف تثبت بيديها هي حلية الموت بعناية حول شعرها الذهبي .

إنها لا تستطيع أن تقـــاوم مثل هذا الجمال ، مثل هذا الوهج السماوي ؛ ولسوف تدثر نفسها بالرداء والتاج الذهبي المصقول لتزيد من رونقها يوم عرسها لتدخل إلى بيت جديد بين الأموات . هكذا ستقع في شركٍ رهيب ، والموت لا محالة في انتظارها ؛ ولا مهرب من قسوته . أما أنت ، يا جاسون المسكين ذو الطالع المنحوس في زواجه أنت يا صهر الملوك أنت لا تدري أن المصلحة التي تسعى وراءها سوف تحكم بهلاك ولديك وتجلب على زوجتك قدرها رهيباً . آه ! أيها التعيس جاسون ! كم أنت واثق من مصيرك ، ولـــكنك غاية في الجهل ! أما أنت أيتها الأم الحقيرة ، فإنني أبكي بعـــد ذلك أحزانك ؛ لسوف تذبحين طفليك، بسبب غيرتك على فراش الزوجية ، لأن زوجك قد هجرك دون اعتبار لحقك أو لإخلاصه لك ويعاشر زوجة أخرى .

المنظر : « يعود المعلم ومعه الطفلان »

المعـــلم : سيدتي ! لقد أعفي هذان الطفلان من النفي .

لقد تسلمت الأميرة هداياك بيديها ، وكانت مغتبطة . وليس لها أعداء في القصر .

ميديـا : (تحدث نفسها) : كم هي قاسية ، كم هـي قاسية ؟

المعـلم : إن هذا لا يتناسب مع الأخبار التي أحضرتها .

ميديـا : كم أن الحياة قاسية !

المعـلم : هل تكلمت عن شيء مخيف إذن ؟ لقد ظننت أن أخباري طيبة .

ميديـا : إن أخبارك كما هي . ولست ألومك .

المعـلم : إذن لماذا تقفين وأنت تحملقين إلى الأرض ، وعيناك زائغتان ؟

ميديـا : إن هناك سبباً قوياً يدفعني للبكاء ، أيها الصديق العجوز. لقد أدت إلى هذا إرادة الآلهة ، ومؤامرتي الشريرة .

المعـلم : تشجعي ، يا سيدتي فلسوف يعود بك ولداك إلى بيتك في الوقت المناسب .

ميديـا : وقبل هذا ، لدي آخرون لأرسلهم إلى مستودعهم آه ! يا آلهتي !

(تبكي ميديا) .

المعـلم : لست الأم الوحيدة التي انفصلت عن أبنائها .

كلنا بشر ؛ ويجب ألاّ تهوّلي من أمر أحزانك .

ميديـــا : نعم ، أيها الصديق . لسوف أتبع نصيحتك . والآن ادخل وأعد لهما حاجياتهما ، كما تفعل في الأيام الأخرى .

المنظر : « يخرج المعلم ، يأتي الطفلان إلى ميديا »

طفـــلي ، يا طفلي ! إن لكما موطنا ومنزلا وعندما نفترق ، سوف تبقيان هناك إلى الأبد ، أنتما بدون أم ، وأنا بائسة . ومن المفروض علي أن أذهب إلى المنفى بلا تأخر ، قبل أن أكون قد استمتعت بكما ، وقبل أن أكون قد رأيتكمـــا تكبران . وقد أصبتما النجاح . لن أرى أبـــداً زوجتيكما تزينان فراش زوجتيكما ، وأن أحمل الشعلة عالية .

إن مأساتي هو قلبي ، الذي لا يلين . إذن ، فكل ما زرعت كان لأدراج الرياح ، هذه السنوات التي أنفقتها أربيكما وأرعاكما ، وتعبي الكبير ، وآلامي المبرحة حين ولدتما . آه ! لقد بنيت عليكما في وقت ما آمالاً كثيرة ؛ وتصورت ، ويا للأسف ، أنكما سترعيان شيخوختي ، وأنكما سوف تعدان بنفسيكما جسدي عندما أموت للدفن .

كم كان الناس ليحسدوني على ولديّ ! هذه الخواطر الجميلة قد أخفتها الآن أفـــكار سود . فما أن أنفصل عنكما ، حتّى تتحول حياتي كلها إلى ألم وصراع . إنكما لن تنظرا إلى والدتكما بعينيكما العزيزتين بعد ذلك . لسوف تنتهيان إلى عالم مختلف عن الحياة .

ولديَّ الحبيبين ، لماذا تحملقان هكذا نحوي؟ أنكما تبتسمان لي ابتسامتكما الأخيرة : لماذا ؟

المنظر : « تبكي ميديا ويبتعد الطفلان عنها قليلاً ، وتستدير الى الكورس »

واحيرتي! ماذا عساي أن أصنع؟ أيتها النساء ، لقد ذهبت عني كل شجاعتي . وجهاهما الصغيران الوضاءان ، لا أستطيع أن أنفذ ذلك . لن أفكر في هذا الأمر بعد ذلك. سوف آخذهما بعيداً عن كورنثة . لماذا أوذيهما ألأجعل والدهما يقاسي ، في حين أنني أنا نفسي سوف أتألم أضعاف ذلك؟ لن أفعل هذا . لن أفكر في ذلك مرة أخرى .

ما حكايتي؟ أيسخر مني أعدائي؟ أأتركهم متحررين من الألم؟ يجب أن أجعل قلبي كالفولاذ أمام هذا الأمر. كم أنا جبانة ، حتّى أراني أتراجع

عن قراري بكلمات لينة .
أيها الولدان ، ادخلا .

المنظر : « يذهب الولدان نحو الباب ، ولكنهما يبقيان يراقبانها »

إذا كان يوجد هنا شخص يرى أنه مما يخالف الشرع أن يحضر تضحيتي فليرى ذلك . لن تضعف يداي .

ما أقساك يا قلبي ، لا تفعل هذا ! آه ، أيها القلب التعس ، دعهما يعيشا ! اعف عن طفليك ! سوف نعيش جميعاً سواء آمنين في أثينا ، وسيجعلانك سعيداً .....

لا ! لا ! بحق كل شياطين الحقد في أعماق الجحيم ، لا لن أترك ولدي ليكونا ضحيتي غضبة أعدائي ، لا مفر ، في كل الأحوال ، لقد انقضى الأمر الآن . نعم الآن ـ التاج الذهبي على رأسها الآن ، والعروس الملكية تحتضر الآن في ثوبها ، أنا أعرف ذلك . وهكذا ، ما دام محتماً عليّ أن أسلك الطريق الحزين ، وأن أبعث بهذين الطفلين إلى طريق أكثر بؤساً ، فإنني سوف أتحدث إليهما . هيا ، أيها الطفلان ، تعالا

إلي وأعطني يدك ، يا ولدي الحبيب ، وأنت كذلك ، الآن يجب أن نودع بعضنا آه ! أيتهــا اليد العزيزة والفم الغــالي، ما أنبل وجهيكما الصغــيرين وجسديكما ! ولدي الحبيبين إني أباركككما ــ لكن هنــاك ، وليس هنا ! فلقد حطم والدكما كل نعمكما هنــا. يا له من أمر جميل أن أحتضنكما ! . إن بشرة الأطفال لناعمة ، وأنفاسهم طاهرة .

اذهبا ، اذهبا بعيداً ! لا أستطيع النظر إليكما أكثر من ذلك ! إن آلامي أكثر مما أحتمل .

المنظر : « **يدخل الطفلان** »

إنني لأدرك رعب ما أنا قادمة عليه ؛ ولكنه الغضب ، مصدر كل فزع في الحياة يملك عليّ كل إرادتي .

(تذهب ميديا لتقف وهي تنظر ناحيــة القصر .)

الكورس : كثيراً ما اشتبكت في جدال ، وأكون أكثر عناداً، وربما أكثر حماساً مما هو جدير بالنساء؛ ولو أن النساء أيضاً ذكيات ، وهذا الذكاء يشكل جزءاً من طبيعتنا وتكويننا ــ لسنا كلنا ، وأنــا

اعترف بذلك ؛ ولكنك ربما تجد عدداً محدوداً من بين عديد من النساء كذلك — بينما عدد قليل غير قادر على التفكير ؛ وهذا هو رأيي : هؤلاء الرجال أو أولئك النسوة ، الذين لم ينجبوا أطفالاً بالمرة يتمتعون بحظّ من السعادة أوفر من أولئك الذين هم آباء أو أمهات، ممن لا أطفال لهم، لا يتجشمون مشقة معرفة ما إذا كان الأطفال نعمة أم نقمة ، ولكنهم وهم يعيشون بدونهم فإنهم يقضون حياتهم معفون من متاعب كثيرة . ولكني أرى أن أولئك الذين في منـــازلهم أطفال نامية يتحملون الأعباء وينغص حياتهم القلق المستمر في نظير نعمة الأطفال الجميلة ؛ ولا كيف يربونهم في صحة وأمان ، وأن يخلفوا لهم ، عندما تحين الساعة ، ما يكفي حياتهم ؛ ثم هذا القلق الكبير : إنهم لا يعرفون أبداً إذا كانوا يبذلون الجهد أو لا من أجل أولاد ذوي قيمة أو تافهين .

وأكثر من الأمراض الشائعة التي تلاحق الحياة البشرية ، فإن هناك ما هو أسوأ : لنفرض أنهم في آخر الأمر ميسورون ، وترعرع أطفالهم، وأكثر من ذلك طيبرن أمناء : ثم ماذا يحدث بعد ذلك ؟ تضرب الصدفة ضربتها ويأتي الموت ليحمل الطفل إلى عالم آخر مجهول .

إذن لماذا يشكر البشر الآلهة، الذين يضيفون إلى أعبائهم المثقلة أصلاً حملاً جديداً من أجل أطفالهم وهم أخطر الأعباء جميعاً ؟

ميديـــا : أيها الصديقات ، إنني منذ فترة طويلة في انتظار نبأ من القصر . ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ إني أرى عبد جاسون قادماً يلهث . لا بد أنه يحمل أنباء خطيرة .

مجلس المنظر : « يدخل الرسول »

الرسول : ميديا ، اذهبي بعيداً ، اهربي ! يا للهول ، ما هذا الذي تفعلينه ! يا له من شيء مريع ! خذي سفينة ، أو عربة ، أو أي وسيلة في إمكانك لكن اهربي !

ميديـــا : لماذا أهرب ؟

الرسول : لقد ماتت – الأميرة ، ووالدها كريون أيضاً ، كلاهما قد ماتا بسمومك .

ميديـــا : إن أخبارك رائعة ، إني أعدّك منذ اليوم صديقي وصاحب معروف .

الرسول : ماذا ؟ أمجنونة أنت ، تسرين عند سماعك عنها ؟ ألا ترتعدين من مثل هذا الأمر ؟

ميديــا : في استطاعتي أن أجيبك برد مناسب على هذا ، يا صديقي . لكن على رسلك الآن ؛ أخبرني كيف ماتا ؟ لسوف تجلب لي سروراً مضاعفاً إذا كان موتهما رهيباً .

الرسول : عندما أتى طفلاك ويداهما متشابكتان ، دخلا القصر مع والدهما ، حيث كانت العروس ، سررنا نحن الخدم . لقد شعرنا جميعاً بالأسف لما لاقيته من معاملة ، وأخذت الكلمات تشيع فيما بيننا ، بأنك وجاسون تصالحتما . وهكذا شاعت بيننا البهجة لرؤية الطفلين . واحد يقبل يدها ، والآخر شعرها الجميل . وأنا نفسي كنت في غاية السرور ، وقد تبعتهما إلى غرفة الأميرة وكانت سيدتنا ــ تلك التي نسميها سيدتنا بدلاً منك ــ تركز بصرها على جاسون وحده قبل أن ترى طفليك يأتيان نحوها ؛ ولكن ما أن رأتهما حتى أشاحت بعينيها ، وأدارت خديها الجميلين ممتعضة، وقد أقلقها مجيئهما إلى غرفتها. وبدأ زوجك عندئذ يسوس عنادها ومزاجها الصبياني . وقال لها : « يجب عليك ألا تكوني عدائية نحو أصدقائنا أديري رأسك نحوهما ، وأقلعي عن غضبك. هــذان هما حبيبا زوجك ويجب أن تحبيهما أنت أيضاً ، والآن تناولي هذه الهدايا ، وقال :

واسألي أباك أن يحجم عن نفيهما من أجلي .

وهكذا ، وعندما رأت تلك الهدايا الجميلة ، خلب لبها ، ووافقت على كل ما طلبه جاسون ، وفي الحال ، وقبل أن يخرج ولداك ، تناولت الثوب المزركش وارتدته وبعد ذلك ثبتت التاج الذهبي فوق خصلاتها ، ثم بدأت تصفف شعرها أمام مرآة لامعة ، وتبتسم للصورة التي تنعكس فيها وانتصبت واقفة وأخذت تتحرك ذهاباً وإياباً حول الغرفة في خطوات رشيقة وقدماها عاريتان وكثيراً ما كانت تتثنى إلى الخلف لترى الثوب كيف يتدلى لتصل ثناياه حتى عقبيها.

وفجأة ، رأينا شيئاً رهيباً . امتقع لونها ؛ وترنحت ذات اليمين وذات اليسار ، واهتزت كل أطرافها . واستطاعت بالكاد أن تتهالك فوق مقعد ، وإلا لوقعت طريحة على الأرض .

واعتقدت إحدى خادماتها ، وهي امرأة عجوز أنه ربما يكون قد مسها غضب الإله «بان» أو أي إله آخر وشرعت ترتل ترنيمة العبادة ولكنها رأت زبداً أبيض يتحلب من بين شفتي الفتاة ، وقد انحرف جفنا عينيها بحيث غشي بصرها ، والدم يتلاشى من كل بشرتها . وأدركتْ

المرأة العجوز أنها مخطئة . فتحول ترتيلها إلى عواء كله يأس . وهرعت وصيفة تبحث عن الملك ، وأخرى تفتش عن جاسون لتخبره عما حدث لهذه العروس الشابة ؛ وعجّ القصر كله بلغط من الناس وهم يجرون هنا وهناك .

لقد جرى هذا كله في لحظات قليلة ، ربما في الوقت الذي يستغرقه عدّاء سريع ليقطع مائة ياردة ، ورقدت فاقدة النطق وعيناها مسبلتان . وأفاقت الفتاة المسكينة ، لتطلق صرخة مرعبة ، إذ أن مصدرين للتعذيب قد اشتركا سوياً في شن الهجوم عليها : التاج الذهبي المصقول حول رأسها ينفث تياراً من نار مفترسة شرسة من ناحية ؛ بينما ينهش لحمها الغضّ ذلك الرداء الجميل الذي أهداه إياها طفلاك ، يا لها من فتاة تعسة ! ووثبت من مقعدها والنار تسري في جسدها كالهشيم ، وجرت وهي تهز رأسها وتنفض شعرها الطويل في هذا الاتجاه وذاك ، محاولة أن تتخلص من التاج . ولكن إطاره الذهبي كان مثبتاً بإحكام ولم يعد يهتز ؛ وكلما هزت رأسها كلما اشتعل اللهيب بضراوة أشد . وأخيراً ، هدّها الألم وسقطت إلى الأرض ؛ ولم يعد هيكلها واضح المعالم ، اللهم إلا لوالدها .

لقد تشوهت عيناها ، ووجهها ، بشكل خيالي ، وأخذ الدم يقطر من رأسها وقد اختلط بلهيب ، وانصهر لحمها بعد أن هاجمته مخالب سُمّك الخفية ، وتساقط عن عظامها النحيلة ، كما يتساقط الصمغ من لحاء شجرة الصنوبر . منظر مروّع . لم يجرؤ أحدنا أن يلمس جسدها لقد كان ما رأيناه درساً كافياً لنا . ولكن جاء والدها إلى الغرفة فجأة . ولم يدرك المسكين كنه الموت الذي أصاب ابنته لقد ألقى بنفسه إلى جوارها ، وأخذ ينشج بصوت عال ، ويقبلها ، ويأخذها بين ذراعيه . وصاح باكياً : « ضنى قلبي البائسة ، أي إله هذا الذي قضى بتدمير حياتك بهذه القسوة ؟ من الذي يحرمني من وحيدتي ، وأنا الشيخ الهرم ، وقدماي تخطوان نحو القبر ؟ آه ! دعيني أمت معك يا ابنتي !

وبعد فترة توقف عن دموعه وبكائه ، وحاول أن ينهض بجسده العجوز ، ولكن عندئذ كان جسمه قد التصق إلى الرداء كما يتعلق نبات اللبلاب بأغصان الغار . وبدأ صراع مروّع ؛ ناضل محاولاً أن يرفع ركبته ، ولكنها شدته إلى الأرض بعنف. ولو أنه استخدم كل قوته ، لمزق لحمه العجوز عن عظامه . وأخيراً ، أقلع الملك

عن محاولته التي تثير الرثاء؛ لقد استسلم بعد أن أضناه الألم ثم لفظ أنفاسه. والآن ترقد الابنة ووالدها هناك، وقد ضمهما الموت سوياً — ويا له من منظر، كما لو كانت الدموع قد خلقت من أجله.

ليس لدي ما أقوله لك يا ميديا، أكثر من ذلك. أنت نفسك خير من يعرف أن يروغ من الانتقام. أما بالنسبة للحياة البشرية فإنها تظل كما تصورت دائماً. وإليك رأيي الذي أفصح عنه دون تردد: إن أولئك الذين يسميهم غالبية الناس بالأذكياء ومبدعي النظريات الحكيمة، يرتكبون أكثر حماقات البشر إثارة للوم عندما يخطئون.

السعادة شيء لا يملكه إنسان. قد يهبط الثراء الآن على شخص، ومرة ثانية على شخص آخر. قد يزيد الرخاء، أما السعادة فمطلقاً.

المنظر: «يخرج الرسول»

الكورس: اليوم تبــدو لنا مشيئة السماء وهي تنزل على جاسون عدالتها وكوارثها، الضربة تلو الضربة.

ميديـا: أيتها الصديقات، إن طريقي الآن بَيِّن؛ علي أن أقتل الطفلين بأسرع ما يمكن ثم أفر من كورنثة

ويجب ألا أتوانى وإلا فإنني بهـذه الطريقة أودعهم يداً أخرى أكثر حرصاً على قتلهما . ذلك انه من المحتم أن يموتا على أية حال ، وما دام لا مفر من ذلك ، إذن فسأقتلهما أنا التي ولدتهما . وطّد عزيمتك يا قلبي : ما أنت قادم عليه مخيف ، ولكنه حتمي . لماذا الانتظار إذن ؟ ها ، يا يدي اللعينة أمسكي السيف ، تناوليه وتقدمي إلى جبهة اليأس . لا جبن ، ولا ذكريات هائنة ، تناسي أنك أحببتهما في وقت ما ، وأنهما قطعتان ولدتا من جسدك . فلتنسي طفليك ليوم واحد قصير ؛ ولتبكي بعد ذلك ، لقد كانا ولديك الحبيبين ، بالرغم من أنك تقتلينهما .

المنظر : « تدخل ميديا المنزل »

الكورس : أيتها الأرض ، انهضي ! انظري : يا سهام الشمس اللامعة ، ألق نظرة على المرأة اللعينة قبل أن ترفع يدها القاتلة وتدنسها بدماء طفليها ؛ ذلك لأنهما من سلالة جنسك الذهبي . إنه لشيء رهيب بالنسبة للبشر أن يسفكوا دماً كان يجـري في شرايين الآلهة .

أيها الضوء ، يا إلهيَّ المصدر ، امنعهـا ،

ولتوقفها ، طهر القصر منها ، شيطانة الانتقام الحقيرة ذات اليد المخضبة بالدماء .

ضاع كل عطفك عليهما ! تبدد حبك لها ، تبدد كله ! لماذا أتيت من سيمبلاجيديس Symblagades الزرقاء التي تحرس بوغاز البحر البربري ؟ لماذا يأكل قلبك كل هذا الغضب حتى ينفجر في سفك دماء الطفلين ؟ إن اللعنة تنزل على الحياة البشرية حيثما يدنس دم ذوي القربى الأرض؛ وتشكل جريمة قتل، ذلك الهلاك الذي تقدره عدالة السماء لينزل ببيت الخطيئة .

(تسمع صرخة طفل من داخل المنزل) .

الكورس : هل تسمعن ؟ الطفلان يستغيثان طلباً للنجدة . ويحك أيتها المرأة الملعونة ، التعسة !

صيحات الطفلين : النجدة ، النجدة ، دعيني أذهب ، يا أماه! لا تقتلينا ، يا أماه !

الكورس : سندخل ؟ لقد وجب علينا أن ننقذ حياة الطفلين .

صيحات الطفلين : النجدة ، النجدة ، بحق الآلهة ! إنها تقتلنا ! لسنا بمستطيعي الهرب من سيفها !

الكورس : أيتها الأم البائسة ، لقد قُدَّ قلبك من صخر أو حديد ، كما قررت أن تكوني ، حتى تحطمي

سلالتك وتسفكي دم طفليك اللذين هما من
لحمك !

كانت هناك واحدة فقط في الماضي ، امرأة واحدة سمعت بها ، رفعت يدها ضد ولديها كانت هـــذه هي إينو Ino ، وقد فقـــدت رشدها عندما شردتّها هيرا Hera ، زوجة زيوس من منزلها لتهيم على وجهها في أنحاء المعمورة . لما تلوثت بجريمة قتل ولديها ، اندفعت في غمرة بؤسها لتلقي في تهور بنفسها في البحر ؛ لقد مدت قدمها من حافة صخرة شديدة الانحدار ، وكان في ذلك حتفها ، وضمها الموت مع ولديها .

فماذا يمكن أن يكون غريباً أو مروّعاً بعد ذلك ؟ يا فراش النساء ، المليء بالعاطفة والألم ، أي شر وأية محنة قد جلبتها إلى الأرض ! ؟

المنظر : « يدخل جاسون مهرولا لاهث الأنفاس »

جاسون : أيتها النسوة الواقفات هناك بالباب : ألا زالت ميديا بالمنزل ؟ ــ تلك القاتلة الشريرة ! أم أنها قد ولت هاربة ؟ أقسم أنها لا بد أن تكون إما مختبئة في أعماق الأرض أو تحلّق فوق أجنحة في لجة السماء ، كي ، كي تهرب من ثأري للبيت

الملكي ؛ لقد قتلت الأميرة والملك ! فهل تتوقع أن ترحل دون قصاص ؟

حسناً انها لا تعنيني بقدر اهتمامي بالطفلين . لسوف يجعلها تقاسي أولئك الذين لاقوا على يدها الأسى ؛ لقد أتيت لأنقذ ولديَّ ، قبل أن تقتلهما عائلة كريون انتقاماً لجريمة أمهما التي لا توصف .

الكورس : جاسون ، لا زال أمامك أن تعرف كم أن مصيبتك عظمى ، وإلا لما كنت قد قلت ما قلت .

جاسون : أية مصيبة ؟ هل تحاول ميديا ، أن تقتلني أيضاً ؟

الكورس : لقد مات ولداك ، لقد قتلتهما أمهما .

جاسون : إيه ؟ قتلت ولدي ؟ هذه الكلمة تميتني .

الكورس : كلاهما قد ماتا .

جاسون : أين هما ؟ أسفكت دمهما هنا بالخارج ، أم بالداخل ؟

الكورس : أفتح الباب ، ولتنظر إليهما مضرجين بدمائهما .

جاسون : أيها العبيد ، هناك ! ارفعوا مزاليج الأبواب ! افتحوا ، دعوني أرَ الرعبين ، ولديَّ الذبيحين والمرأة التي سأسفك دمها .

(يدق جاسون الأبواب . تظهر ميديا فوق السقف ، تجلس على عربة قد شُدَّ إليها تنينان ،

ومعها جسدا الطفلين) .

ميديــا : جاسون ! لماذا تدق الأبواب ، تبحث عن الطفلين الميتين أعني أنا الّتي قتلتهما ؟ توقف ! كن هادئاً إذا كنت تبغي مني مطلباً، فقل ما تريد لن تستطيع أن تلمسنا ، ونحن في هذه العربة الّتي أرسلتها الشمس كي تنقذنا من تناول أيدي الأعداء.

جاسون : أنت ، أيتها البغيضة ! إنك من بين نساء العالمين ، مقيتة إلى أقصى حدود الكراهية إلى الآلهة جميعاً وإليّ ، ولكل الجنس البشري !

لقد استطعت أن تتحملي – وأنت أم – أن ترفعي سيفاً وتهوي به على طفليك الصغيرين لتتركيني دون أطفال ، لقد تحطمت حياتي . هل تجرؤين على مواجهة الشمس والأرض وأنت مذنبة بكبرى الكبائر بعد جريمة كهذه ؟ يا ليت الآلهة تدمر حياتك !

إنني الآن عاقل ؛ لكن كنت مجنوناً قبل ذلك عندما جئت بك من قصرك في بلد همجي إلى مُقام إغريقي ، أنت أيتها اللعينة الحية ، يا من خنت والدك ووطنك من قبل: لقد ألقت الآلهة عليّ عبء الانتقام من أخطائك . لقد كنت قد قتلت أخاك في منزله من قبل وذلك عندما قدمت

إلى ظهر سفينتي المحبوبة آرجو لأول مرة. كانت هذه هي بدايتك. ثم أصبحت بعد ذلك زوجتي وحملت ثم ولدت طفليّ؛ والآن لمجرد غيرة جنسية تقتلينهما!

لا توجد امرأة في كل بلاد اليونان تحتمل أن تفعل هذا، ومع ذلك فضلتك عليهن وتزوجتك، اخترت الحقد والقتل زوجة لي – ليست امرأة بل نمرة سكيللاّ توسكانية – بل وأكثر من هذا حيواناً متوحشاً.

يا لحسرتي، ما الفائدة؟ لو ظللت ألعنك طول اليوم، لن يمسك الندم، فإن قلبك محصن ضد المشاعر، اذهبي! اغربي عن ناظري، أيتها الشيطانة النجسة يا قاتلة طفليها! اتركيني كي أندب حظّي! لقد فقدت عروسي الشابة، وفقدت ولدي اللذين انجبتهما وربيتهما لن أراهما على قيد الحياة مرة ثانية وإلى الأبد.

ميديــا : لو كان الأمر يستحق لرددت على كل ما قلت، ولكن أبانا جميعاً والد الجميع يعلم تمام العلم أي معروف قدمته لك في وقت ما من الأوقات وكيف رددت لي الثمن.

لقد وقعت في الخطأ إذا كنت قد اعتقدت

أن في مقدورك أن تحتقر فراشي ثم تمضي بعد ذلك لتعيش حياة هانئة وتسخر مني . وكانت الأميرة أيضاً في ضلالة من أمرها ، وكذلك كريون عندما قرر أن يتخذك صهراً ، وظنّ أنه في استطاعته أن ينفيني دون أن يذوق عاقبة ما أقدم عليه .

هكذا أأنا الآن نمرة ، سكيللا ! اخلع عليّ ما تشاء من أسماء ! لقد ضربت على أوتار قلبك ؛ وهذا حق .

جاسون : إنك أيضاً تقاسين ، إن خسارتي هي خسارتك .

ميديا : هذا حق ؛ لكن آلامي لها ثمنها ، أن أحرمك ابتسامتك .

جاسون : طفلي ، أية أم شريرة وهبكما القدر !

ميديا : ولدي ، لقد كلفتكما خيانة أبيكما حياتكما .

جاسون : ليستا يدي هما اللتين سفكتا دماء ولدي .

ميديا : لا ، ليستا يديك ؟ ولكن إهانتك لي ، وعروسك الجديدة .

جاسون : وهل تعتقدين أن هذا سبب كاف لتقتليهما ، ألا وهو أنني لم أعد أطارحك الفراش ؟

ميديا : وهل تتصور أن هذا الظلم ، هيّن القدر بالنسبة

لامرأة ؟

جاسون : نعم ، بالنسبة لامرأة محتشمة ، أما بالنسبة لكِ ، فقد ضاع العالم كله .

ميديـــا : في استطاعتي أيضاً أن أوجه الطعنات : لقد مات ولداك !

جاسون : ماتا ؟ لا ! بل سيلازمان حياتك كي ينتقما منك .

ميديـــا : من ذا الذي بدأ هذه الضغينة ؟ الآلهة تدري .

جاسون : نعم ، إنها تعرف وضاعة نفسك .

ميديـــا : فلتستمر في أن تثير اشمئزازي بصوتك الكريه ، كم أمقت هذا الصوت !

جاسون : كما اشمئز من صوتك. دعينا نتفق على شروط ثم نفترق في الحال .

ميديـــا : بكل ارتياح ، أية شروط ؟ ما الذي تطلب مني أن أفعله ؟

جاسون : أعطني ولدي لأقوم نحوهما بواجب الدفن والجنـــازة .

ميديـــا : آه ، لا ! لسوف أحملهما أنا نفسي إلى معبد هيرا آكْرِيَا ؛ وهناك في الفناء المقدس سأواريهما التراب بيدي ، لأتأكد أن أحداً من أعدائي لن ينتهك حرمة قبريهما أو يدنسها ولسوف أقرِّر

على شعب كورنثة أن يقيموا لهما عيداً سنوياً وأن يقدموا لهما الأضاحي إلى الأبد تكفيراً عن هذه الجريمة الدنسة . أما أنا نفسي فسوف أذهب إلى أثينا مدينة إريخثيوس، وسأقيم منزلي عند آيجيوس ابن بانديون . أما أنت، فستموت ، كما تستحق ، ميتة خالية من البطولة ، لسوف تحطم قطعة من السفينة آرجو رأسك . بهذه الطريقة سوف يأتي قدرك البائس بنهاية لقصة حبك لي .

جاسون : فلتقعنّ عليك لعنة دماء الطفلين : ولينسفنّك انتقام العدالة !

ميديا : أي إله سوف يستمع إلى لعنتك ، أيها المحنث بالقسم ، يا خادع الضيف ، أيها الكاذب .

جاسون : أيتها القذرة ، قاتلة طفليك المقيتة !

ميديا : عد إلى منزلك : إن زوجتك تنتظر أن تدفن .

جاسون : إنني ذاهب — أنا الذي كنت في وقت ما والداً؛ والآن بلا أطفال .

ميديا : سيأتي حزنك عاجلاً . الشيخوخة تطرق بابك .

جاسون : طفليّ ، كم كنتما عزيزين .

ميديا : على أمهما ، لا عليك .

جاسون : عزيزان ، وتقتلينهما ؟

ميديـــا : نعم ، يا جاسون لأحطمن قلبك .

جاسون : إنني مشتاق لأن أضمهما بين ذراعي ، ولو قبلت شفتيهما قد يستريح قلبي .

ميديـــا : الآن تنطق بكلمة عاطفية ، والآن قبلات لهما ؛ أما فيما مضى قد تخليت عنهما وأرسلتهما إلى المنفـــى .

جاسون : إكراماً للآلهة ، دعيني ألمس جسديهما البضين .

ميديـــا : لن تنال هنا . وإنك لتسأل سراباً .

جاسون : أيا زيوس ، هل تسمع كم تسخر مني وتنبذني هذه الحيوانة المتوحشة المدنسة بدم ولديها ؟

أما الآن ، فلسوف أبكي هذا اليوم الحزين طالما حييت ووسعتني القوة ، وأستشهد بالآلهة ، كيف سفكت دم طفـــلي، ولا تسمحين لي الآن أن ألمسهما أو أقوم بدفنهما . يا ليتني يا إلهي ما كنت أنجبتهما ، أو عشت أبداً لأراهما ميتين ، آه منكِ يا مُهْلكتهما . (وفي أثناء الحديث تتحرك العربة لتختفي عن الأنظار) .

الكورس : أقدار عديدة تلك التي يوزعها زيوس ساكن الأولمب .

وأمور عديدة تضع لها الآلهة خاتمة غير
متوقعة .

الأحداث التي اعتقدنا بوقوعها لا تنفذ ؟

ويجعل الإله ما لا نتوقعه ممكناً ؟

وعلى هذا النحو تأتي خاتمـــة
هذه القصة .